المختار من فتوح البلدان

أمر قبرس

قال الواقدى وغيره، غزا معاوية بن ابى سفيان فى البحر غزوة قبرس الأولى ، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها ، وكان معاوية استأذن عمر فى غزو البحر فلم يأذن له ، فلمّا ولى عثمان بن عفّان كتب إليه يستأذنه فى غزوه[1] قبرس ويُعلمه قربها وسهولة الأمر فيها فكتب إليه أن قد شهدت ما ردَّ عليك عمر «رحمه»[2] حين استأمرته فى غزو البحر فلمّا دخلت سنة ٢٧ كتب اليه يهوّن عليه ركوب البحر إلى قبرس ، فكتب اليه عثمان فان ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه ماذوناً لك والا فلا ، فركب البحر من عكّا ومعه مراكب كثيرة وحمل امرأته فَاخِتَة بنت قَرَظَة ابن عبد عمرو بن نَوْفَل بن عبد مناف بن قُصَيّ وحمل عُبَادَة بن الصّامت امرأته امّ حَرَام بنت مِلحان الأنصاريّة وذلك فى سنة ٢٨ بعد انحسار الشتاء ، ويقال فى سنة ٣٩ ، فلمّا صار المسلمون إلى قبرس فأرفوا إلى ساحلها (وهى جزيرة فى البحر يكون فيما يقال ٨٠ فرسخاً فى مثلها)

---

(١) وفى نسخة « ب » : غزو .

(٢) رحمه : تعنى رحمه الله .

بعث اليهم أركونها يطلب الصلح وقد أذعن أهلها به فصالحهم على سبعة آلف ومائتى دينار يؤدُّونها فى كلّ عام ، وصالحهم الروم على مثل ذلك فهم يؤدُّون خسرجين ، واشترطوا أن لا يمنعهم المسلمون أداء الصلح إلى الروم ؛ واشترط عليهم المسلمون أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم ، وأن يؤذنوا المسلمين بسير عدوّهم من الروم ، فكان المسلمون اذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم اهل قبرس ولم ينصروا عليهم . فلمّا كانت سنة ٣٢ أغاثوا الروم على الغزاة فى البحر[1] بمراكب اعطوهم أيّاها فغزاهم معاوية سنة ٣٣ فى خمس مائة مركب ، ففتح قبرس عنوة فقتل وسبى ثمّ اقرّهم على صلحهم ، وبعث اليها باثنى عشر الفاً كلُّهم اهل ديوان ، فبنوا بها المساجد ونقل اليها جماعة من بَعْلَبَكّ ، وبنا بها مدينة واقاموا يعطون الاعطية إلى أن توفى معاوية وولي بعده ابنه يزيد ، فاقفل[2] ذلك البعث وامر بهدم المدينة . وبعض الرواة يزعم أنّ غزوة معاوية الثانية قبرس فى سنة ٣٥ .

وحدّثنى محمّد بن مُصَفّى الحمصى عن الوليد ، قال ، بلغنا أنّ يزيد بن معاوية رُشِى مالا عظيماً ذا قدر حتّى اقفل جند قبرس ، فلمّا قفلوا هدم أهل قبرس مدينتهم ومساجدهم .

وحدّثنى محمّد بن سعد، عن الواقدى، عن عبد السلام بن موسى ،

---

(١) وردت فى نسخة « آ » باضافة : من المسلمين .

(٢) اقفل : أرجع .

عن أبيه قال : لمّا غُزِيت قبرس الغزوة الأولى ركبت أمُّ حَرَام بنت مِلْحان مع زوجها عُبَادة بن الصَّامِت ، فلمّا انتهوا إلى قبرس خرجت من المركب وقُدمت إليها دابّة لتركبها ، فعثرت بها فقتلتها ، فقبرها بقبرس يدعى[1] قبر المرأة الصالحة . قالوا : وغزا مع معاوية ابو أيُّوب خالد بن زيد بن كُلَيب الانصارى ، وأبو الدَّرْدَاء ، وأبو ذَرّ الغِفارى ، وعُبادة بن الصامت ، وفَضالة بن عُبَيد الانصارى ، وعُمَير بن سعد بن عُبَيد الانصارى ، وواثِلَة بن الأسْقَع الكنانى ، وعبد الله بن بشر المازنى ، وشَدَّاد بن أوْس ابن ثابت ، وهو ابن اخى حسَّان بن ثابت ، والمِقْداد وكعْب الحَبْر بن مَاتِع ، وجُبَيْر بن نُفَيْر الحضرمى .

حدَّثنى هشام بن عمَّار الدمشقى قال : حدَّثنا الوليد بن مُسْلِم عن صَفْوان بن عمرو ، أنَّ معاوية بن ابى سفيان غزا قبرس بنفسه ومعه امرأته ، ففتحها الله فتحاً عظيماً ، وغنَّم المسلمين غنماً حسناً ، ثمَّ لم يزل المسلمون يغزونهم ، حتَّى صالحهم معاوية فى أيَّامه صلحاً دائماً على سبعة الف دينار ، وعلى النصيحة للمسلمين ، والذارهم عدوّهم من الروم ، هذا أو نحوه . قالوا : وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجلى منهم خلقاً إلى الشام لأمر اتَّهمهم به ، فانكر الناس ذلك ، فردَّهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك إلى بلدهم ، وكان حُمَيْد بن مَعْيُوف الهَمْدانى غزاهم فى خلافة الرشيد لحدث احدثوه فأسر

---

(١) ووردت فى الأصل : تدعى .

منهم بشراً ، ثمّ أنّهم استقاموا للمسلمين فأمر الرشيد بردّ من أسر منهم فردّوا .

حدّثني محمّد بن سعد عن الواقدي في اسناده ، قال : لم يزل أهل قبرس على صلح معاوية حتّى ولي عبد الملك بن مروان فزاد عليهم ألف دينار فجرى ذلك إلى خلافة عمر بن عبد العزيز فحطّها عنهم ، ثم لمّا ولي هشام بن عبد الملك ردّها ، فجرى ذلك إلى خلافة أبي جعفر المنصور ، فقال : نحن أحقُّ من انصفهم ، ولم تكثّر بظلمهم فردّهم إلى صلح معاوية .

وحدّثني بعض أهل العلم من الشاميّين وأبو عبيد القاسم بن سلاّم قالوا : احدث أهل قبرس حدثاً في ولاية عبد الملك بن صالح بن علي ابن عبد الله بن عبّاس الثغور فأراد نقض صلحهم ، والفقهاء متوافرون فكتب إلى اللّيث بن سعد ، ومالك بن انس ، وسفيان بن عُيَيْنة وموسى بن أعْيَن ، واسماعيل بن عيّاش ، ويحيى بن حمزة ، وابي اسحاق الفزاري ، ومَخْلَد بن الحسين في امرهم فأجابوه ، وكان فيما كتب به الليث بن سعد انّ أهل قبرس قوم لم نزل نتّهمهم بغشّ اهل الإسلام ومناصحة اعداء الله الروم ، وقد قال الله تعالى[1] : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ ولم يَقُل لا تنبذ[2] إليهم حتّى تستيقن

(١) قرآن كريم : سورة الأنفال الآية ٥٩ .

(٢) نبذ العهد : نقضه .

خياتهم وانّى أرى ان تنبذ اليهم ويُنْظَروا سنة يأتمرون ، فمن أحبّ منهم اللحاق ببلاد المسلمين على أن يكون ذمّة يؤدى الخراج قبلت ذلك منه ، ومن أراد أن ينتحى إلى بلاد الروم فعل ، ومن أراد المقام بقبرس على الحرب أقام ، فكانوا عَدُوّاً يُقَاتَلون ويُغْزَون فإنّ فى انظار سنة قطعاً لحجّتهم ووفاء بعهدهم ، وكان فيما كتب به مالك بن انس ، انّ أمان أهل قبرس كان قديماً متظاهراً من الولاة لهم ، وذلك لأنهم رأوا انّ اقرارهم على حالهم ذلّ وصغار لهم وقوّة للمسلمين عليهم ، بما يأخذون من جزيتهم ويصيبون به من الفُرْصَة فى عدوّهم ، ولم أجد أحداً من الولاة نقض صلحهم ولا اخرجهم عن بلدهم ، وأنا أرى أن لا تعجل بنقض عهدهم ومنابذتهم حتّى تتّجه الحجّة عليهم فانّ الله يقول[1] : ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ ، فإن هم لم يستقيموا بعد ذلك ويَدَعوا غشّهم ، ورأيتَ انّ الغدر ثابت منهم اوقعتَ بهم، فكان ذلك بعد الاعذار فرُوقت النصر ، وكان بهم الذلّ والخزى ان شاء الله تعالى ، وكتب سفيان بن عيينة انّا لا نعلم النبى ﷺ عاهد قوماً فنقضوا العهد الاّ استحلّ قتلهم ، غير أهل مكّة فانّه منّ عليهم ، وكان نقضهم أنّهم نصّروا حُلَفَاءهم على حُلَفَاء رسول الله ﷺ من خُزاعة ، وكان فيما اخذ على أهل نَجْران ان لا يأكلوا الربا ، فحكم فيهم عمر «رحمه» حين اكلوه باجلائهم فإجماع القوم أنّه من نقض عهداً فلا ذمّة له ، وكتب موسى بن أعين : قد كان يكون مثل هذا فيما خلا ، فيعمل الولاة فيه

---

(١) قرآن كريم : سورة التوبة الآية : ٥ .

النظرة ، ولم ار احداً ممّن مضى نقض أهل قبرس ولا غيرها ، وا عامّتهم وجماعتهم لم يمالئوا على ما كان من خاصّتهم ، وأنا أرى الو لهم والتمام على شرطهم ، وان كان منهم الّذى كان ، وقد سمه الأوزاعى يقول : فى قوم صالحوا المسلمين ، ثم أخبروا المشركين بعور ودلّوهم عليها انّهم ان كانوا ذمّة فقد نقضوا عهدهم وخرجوا من ذمّتهم فان شاء الوالى قتل وصلب ، وان كانوا صلحاً لم يدخلوا فى المسلمين، نبذ اليهم الوالى على سواء ﴿ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ[1] الْخَائِنِينَ وكتب اسماعيل بن عيّاش ، أهل قبرس أذلاّء مقهورون يغلبهم الروم ع أنفسهم ونسائهم فقد يحقّ علينا أن نمنعهم ونحميهم ، وقد كتب حيي بن مسلمة لاهل تَفْلِيس فى عهده ، أنّه ان عرض للمسلمين شغل عنّ وقهركم عدوّكم فانّ ذلك غير ناقض عهدكم بعد أن تفوا للمسلمين ، و أرى أن يقرّوا على عهدهم وذمّتهم ، فانّ الوليد بن يزيد قد كان أجلاه إلى الشام فاستقطع ذلك المسلمون، واستعظمه الفقهاء، فلمّا ولى يزيد الوليد بن عبد الملك ردّهم إلى قبرس ، فاستحسن المسلمون ذلك من فه ورأوه عدلاً ، وكتب يحيى بن حمزة انّ أمر قبرس كأمر عَرَبَسُّوس ، ف فيها قدوة حسنة ، وسنّة متبعة ، وكان من أمرها أنّ عُمَير بن سعد قال لعمر بن الخطّاب وقدم عليه أنّ بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عَرَبسُّوس وأنّهم يخبرون عدوّنا بعوراتنا ولا يظهرونا على عورات عدوّنا ، فقا

(١) قرآن كريم : سورة يوسف الآية : ٥٢ ، وفى سورة الانفال الآية ٥٩ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ .

عمر : فاذا قدمت فخيرّهم أن تعطيهم مكان كلّ شاة شاتين ، ومكان كلّ بقرة بقرتين ، ومكان كلّ شيء شيئين ، فإذا رضوا بذلك فأعطهم اياّه وأجلهم واخربها ، فان أبوا فانبذ اليهم ، واجّلهم سنة ثمّ اخربها ، فانتهى عمير إلى ذلك فأبوا ، فأجّلهم سنة ، ثمّ أخربها وكان لهم عهد كعهد أهل قبرس ، وترك أهل قبرس على صلحهم والاستعانة بما يؤدّون على امور المسلمين افضل ، وكلّ أهل عهد لا يقاتل المسلمون من ورائهم ويجرى عليهم أحكامهم فى دارهم فليسوا بذمّة ، ولكنهم أهل فدية ، يكفّ عنهم ما كفّوا ويُوفى لهم بعهدهم ما وفوا ورضوا ، ويقبل عفوهم ما أدّوا ، وقد رُوى عن مُعَاذ بن جَبَل انّه كره ان يُصالح احد من العدوّ علي شيء معلوم ؛ الاّ أن يكون المسلمون مضطرّون إلى صلحهم لانّه لا يدرى لعلّ صُلْحَهم نفع وعز للمسلمين . وكتب أبو اسحاق الفزارى ومَخْلَد بن الحسين أنّا لم تر شيئاً اشبه بأمر قبرس من امر عَرَبَسّوس ، وما حكم به فينا عمر بن الخطّاب ، فانّه عرَض عليهم ضعف مالهم على ان يخرجوا منها ، او نظرة سنة بعد نبذ عهدهم اليهم ، فأبوا الاولى فأنْظِروا ثمّ أُخْرِبت ، وقد كان الأوزاعى يحدّث أنّ قبرس فتحت فتركوا على حالهم وصولحوا على أربعة عشر ألف دينار ، سبعة ألف للمسلمين ، وسبعة الف للروم على أن لا يكتموا الروم أمر المسلمين ، وكان يقول ما وفى لنا أهل قبرس قطّ وانّا لنرى انّهم أهل عهد وانّ صلحهم وقع على شيء فيه شرط لهم وشرط عليهم ولا يستقيم نقضه الاّ بأمر يعرف فيه غدرهم ونكثهم .

امرَ السامِرة

حدّثني هشام بن عمّار ، عن الوليد بن مُسْلِم ، عن صَفْوان بن عمرو أنّ أبا عبيدة ابن الجرّاح صالح السّامِرة بالأُرْدُنّ وفِلَسْطِين ، وكانوا عيوناً وأدلاّءَ للمسلمين ، على جزية رؤوسهم ، وأطعمهم أرضهم ، فلمّا كان يزيد بن معاوية وضع الخراج على أرضهم . وأخبرني قوم من أهل المعرفة بأمر جندي الأُرْدُنّ وفِلَسطِينَ ، أنّ يزيد بن معاوية وضع الخراج على اراضي السامرة بالأردنّ ، وجعل على رأس كلّ أُسرىء منهم خمسة دنانير ، والسامرة يهود ، وهم صنفان صنف يقال لهم الدُّسْتان ، وصنف يقال لهم الكُوشان .

قالوا : وكان بفلسطين في أوّل خلافة أمير المؤمنين الرشيد «رحه» طاعون جارف ، ربّما اتى على جميع أهل البيت ، فخربت ارضوهم وتعطّلت ، فوكّل السلطان بها من عمّرها ، وتألّف الا كرة[1] والمزارعين اليها فصارت ضياعاً للخلافة ، وبها السامرة ، فلمّا كانت سنة ٢٤٦ رفع أهل قرية من تلك الضياع تدعى بيت ماما من كورة نابُلُس ، وهم سامرة يشكون ضعفهم وعجزهم عن أداء الخراج على خمسة دنانير ، فأمر المتوكّل على الله بردّهم إلى ثلاثة دنانير .

حدّثني هشام بن عمّار قال : حدّثنا الوليد بن مُسلِم ، عن صَفْوان

---

(١) الاكرة : ج الاكّار ، الحرّاث .

ابن عمرو وسعيد بن عبد العزيز ، أنَّ الروم صالحت معاوية على أن يؤدّى إليهم مالا ، وارتهن معاوية منهم رهناء فوضعهم ببَعْلَبَكّ ، ثمَّ إنَّ الروم غدرت ، فلم يستحلّ معاوية والمسلمون قتل من فى أيديهم من رهنهم ، وخلّوا سبيلهم وقالوا : وفاءٌ بغدر خيرٌ من غدرٍ بغدرٍ ، قال هشام وهو قول العلماء ، الأوزاعى وغيره .

أمرُ الجُرَاجِمَة

حدّثنى مشايخ من أهل انطاكية ، أنَّ الجُرَاجِمَة من مدينة على جبل اللُّكام عند معدن الزاج فيما بين بيّاس وبُوقا يقال لها الجُرْجُومَة وأنَّ أمرهم كان فى أيام استيلاء الروم على الشام وأنطاكية ، إلى بطريق أنطاكية وواليها ، فلمّا قدم أبو عبيدة انطاكية وفتحها لزموا مدينتهم ، وهمّوا باللحاق بالروم اذ خافوا على أنفسهم فلم ينتبه المسلمون لهم ، ولم ينبّهوا عليهم ، ثمَّ إنَّ أهل أنطاكية ، نقضوا وغدروا ، فوجّه اليهم أبو عبيدة بن فتحها ثانية ، وولاّها بعد فتحها حَبيب بن مَسلمَة الفِهْرى ، فغزا الجُرجُومَة فلم يقاتله أهلها ، ولكنّهم بدروا بطلب الأمان والصلح فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح فى جبل اللُّكام وأن لا يؤخذوا بالجزية وان يثقّلوا اسلاب من يقتلون من عدوّ المسلمين اذا حضروا معهم حرباً فى مغازيهم ، ودخل من كان فى مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الأنباط وغيرهم ، وأهل القرى فى هذا الصلح ، فسُمُّوا الروادیف لأنَّهم تَلَوْهم وليسوا منهم ، ويقال أنهم جاءوا بهم إلى عسكر

المسلمين ، وهم ارداف لهم ، فسُمُّوا رواديف ، فكان الجَرَاجِمَة يستقيمون للولاة مرَّة ويعسوجون أخرى ، فيكاتبون الروم ويمالئونهم ، فلمَّا كانت أيَّام ابن الزبير ومروان بن الحكم وطلب عبد الملك الخلافة بعده لتوليته أيَّاه عهده واستعداده للشخوص إلى العراق لمحاربة المصعب بن الزبير ، خرجت خيل للروم إلى جبل اللُّكام وعليها قائد من قوَّادهم ، ثمَّ صارت إلى لُبْنَان وقد ضوت إليها جماعة كثيرة من الجَرَاجِمَة ، وانباط وعبيد أبَّاق من عبيد المسلمين ، فاضطر عبد الملك إلى أن صالحهم على الف دينار في كلّ جمعة ، وصالح طاغية الروم على مال يؤدّيه[1] إليه لشغله عن محاربته وتخوُّفه ان يخرج إلى الشام فيغلب عليه ، واقتدى في صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق فانَّه صالحهم على ان يؤدّى إليهم مالا وارتهن منهم رهناء وضعهم بِبَعْلَبَكَ ، وواقق ذلك أيضاً عمرو بن سعيد بن العاصي الخلافة ، واغلاقه أبواب دِمَشْق حين خرج عبد الملك عنها ، فازداد شغلاً وذلك في سنة ٧٠ ، ثمَّ أنَّ عبد الملك وجَه إلى الرومي سُحَيم بن المهاجر فتلطَّف حتَّى دخل عليه متنكِّراً فاظهر الممالاة له وتقرَّب اليه بذمّ عبد الملك وشتمه وتوهين امره حتَّى امنه وأغترَّ به ، ثمَّ أنَّه انكفى عليه بقوم من موالي عبد الملك وجنده كان أعدَّهم لمواقعته ورتَّبهم بمكان عرفه ، فقتله ومن كان معه من الروم ، ونادى في سائر من

(١) ذكر الطبري قوله : ثم دخلت سنة ٧٠ ، ففي هذه السنة ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك بن مروان ملك الروم على ان يؤدى إليه في كل جمعة الف دينار خوفاً منه على المسلمين .

ضوى اليه بالامان ، فتفرّق الجَرَاجِمَة بقرى حِمْص ودِمَشْق ، ورجع اكثرهم إلى مدينتهم باللُّكام ، واتى الانباط قراهم فرجع العبيد إلى مواليهم ، وكان مَيْمون الجُرْجُمَانى عبداً رومياً لبنى امّ الحكَم اخت معاوية بن ابى سفيان وهم ثَقَفِيُّون ، وانّما نسب إلى الجَرَاجِمَة لاختلاطه بهم وخروجه بجبل لُبْنان معهم ، فبلغ عبد الملك عنه بأس وشجاعة ، فسأل مواليه أن يستقوه ففعلوا وقوّده على جماعة من الجند ، وصيّره بانطاكية ، فغزا مع مَسلمَة بن عبد الملك الطُّوانة وهو على ألف من أهل انطاكية ، فاستشهد بعد بلاء حسن وموقف مشهود ، فغمّ عبد الملك مُصابه واغزى الروم جيشاً عظيماً طلباً بثأره .

قالوا : ولمّا كانت سنة ٨٩ ، اجتمع الجَرَاجِمَة إلى مدينتهم وأتاهم قومٌ من الروم من قبل الإسكندرية ورُوسِس ، فوجّه الوليد بن عبد الملك اليهم مَسلمَة بن عبد الملك فأناخ عليهم فى خلق من الخلق فافتتحها على ان ينزلوا بحيث احبُّوا من الشام ، ويجرى على كلّ امرىء منهم ثمانية دنانير ، وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت ، وهو مديان من قمح ، وقسطان من زيت ، وعلى أن لا يكرهوا ، ولا احد من أولادهم على ترك النصرانيّة ، وعلى أن يلبسوا لباس المسلمين ، ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية ، وعلى أن يغزوا مع المسلمين فيُنَفَّلوا[1]

---

(١) تنفَّل صلى النوافل على اصحابه ، أخذ من النفل او الغنيمة اكثر مما اخذوا ، وتنفَّل منه الشيء : طلبه .

اسلاب من يقتلونه مبارزة ، وعلى أن يؤخذ من تجاراتهم ، وأموال موسريهم ، ما يؤخذ من أموال المسلمين فأخرب مدينتَهم ، وأنزلهم فأسكنهم جبل الحُوَّار وسنح اللولون (؟) وعَمْق تِيْزِينَ ، وصار بعضهم إلى حمص ، ونزل بطريق الجُرْجُومَة في جماعة معه انطاكية ، ثمَّ هرب إلى بلاد الروم ، وقد كان بعض العمَّال ألزم الجُراجمة بأنطاكية جزية رؤوسهم ، فرفعوا إلى الواثق بالله « رحه » وهو خليفة ، فأمر باسقاطها عنهم .

وحدَّثني بعض من أثِقُ به من الكتَّاب ، انَّ المتوكل على الله «رحه» أمر بأخذ الجزية من هؤلاء الجراجمة ، وان يجرى عليهم الارزاق ، اذ كانوا ممَّن يستعان به في المسالح[1] وغير ذلك ، وزعم أبو الخطَّاب الأرْدى أنَّ أهل الجُرْجُومَة كانوا يغيرون في أيَّام عبد الملك على قرى انطاكية والعَمْق ، واذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلِّف واللاحق ومن قدروا عليه ممَّن في أواخر العسكر ، وغالوا في المسلمين فأمر عبد الملك ، ففرض لقوم من أهل انطاكية وانباطها ، وجعلوا مسالح ، وأردفت بهم عساكر الصوائف ليؤذنوا الجراجمة عن اواخرها ، فسُمُّوا الروادیف ، وأجرى على كلّ امرىء منهم ثمانية دنانير ، والخبر الأوَّل اثبت .

وحدَّثني ابو حفص الشامي ، عن محمَّد بن راشد ، عن مكحول قال : نقل معاوية في سنة ٤٩ او سنة ٥٠ إلى السواحل قوماً من زُطّ

---

(١) المسلحة : موضع السلاح ، المرْقب ، ج مسالح ، الجماعة والقوم ذوو السلاح .

البصرة والسباتجة ، وانزل بعضهم انطاكية ، قال أبو حفص فبانطاكية محلّة تعرف بالزُطّ وببُوقَا من عمل انطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزُطّ، وقد كان الوليد بن عبد الملك نقل إلى أنطاكية قوما من الزُطّ السند ممّن حمله محمّد بن القاسم إلى الحجّاج، فبعث بهم الحجّاج إلى الشام .

وحدّثني محمّد بن سعد ، عن الواقدى ، قال : خرج بجبل لُبْنَان قوم شكوا عامل خراج بَعْلَبكَ ، فوجّه صالح بن على بن عبد الله بن عبّاس من قتل مقاتلهم واقرّ من بقى منهم على دينهم وردّهم إلى قراهم واجلى قوماً من أهل لُبنان . فحدّثنى القاسم بن سلاّم أنّ محمّد بن كَثير حدّثه أنّ الأوْزاعِيّ كتب إلى صالح رسالة طويلة حُفظ منها ، وقد كان من اجلاء اهل الذمّة من جبل لُبنان ممّن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممّن قتلتَ بعضهم ، ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ عامّة بذنوب خاصّة ، حتّى يُخْرَجوا من ديارهم واموالهم وحكم الله تعالى : ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1] وهو احقّ ما وُقف عنده واقتدى به واحقّ الوصايا أن تُحفَظ وترعى وصيّة رسول الله ﷺ فانّه قال من ظلم معاهداً وكلّفه فوق طاقته ، فانا حجيجه ، ثمّ ذكر كلاماً .

حدّثني محمّد بن سهم الانطاكى قال : حدّثني معاوية بن عمرو عن ابى اسحاق الفزارى قال : كانت بنو اميّة تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية ممّا يلى ثغور الشام والجزيرة ، وتقيم المراكب للغزو ،

(١) سورة النجم الآية ٣٨ . وفى سورة الانعام الآية ١٦٤ ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .

وترتّب الحفظة فى السواحل ، ويكون الاغفال والتفريط خلال الحزم والتيقّظ ، فلمّا ولى ابو جعفر المنصور تتبّع حصون السواحل ومدنها فعمّرها وحصّنها وبنى ما احتاج إلى البناء منها وفعل مثل ذلك بمدن الثغور ، ثمّ لهّا استخلف المهدى استتمّ ما كان بقى من المدن والحصون وزاد فى شحنها . قال معاوية بن عمرو ، وقد رأينا من اجتهاد امير المؤمنين هارون فى الغزو ، ونفاذ بصيرته فى الجهاد ، امراً عظيماً أقام من الصناعة ما لم يقم قبله ، وقسم الأموال فى الثغور والسواحل واشجى الروم ، وقمعهم ، وأمر المتوكل على الله بترتيب المراكب فى جميع السواحل وان تشحن بالمقاتلة وذلك فى سنة ٢٤٧ .

الثغور الشامية

حدّثنى مشايخ من أهل انطاكية وغيرهم ، قالوا كانت ثغور المسلمين الشامية أيّام عمر وعثمان « رضيهما »(*) وما بعد ذلك انطاكية وغيرها من المدن الّتى سمّاها الرشيد عَوَاصِمَ ، فكان المسلمين يغزون ما وراءها كغزوهم اليوم ما وراء طَرْسُوس ، وكان فيما بين الإِسْكَنْدَرُونَة وطَرْسوس حصون ومسالح للروم ، كالحصون والمسالح الّتى يمرّ بها المسلمون اليوم ، فربّما اخلاها اهلها وهربوا إلى بلاد الروم خوفاً ، وربّما نُقل إليها من مقاتلة الروم من تشحن به ، وقد قيل أنّ هِرَقْل أدخل أهل هذه المدن معه

(*) رضه : تعنى رضى الله عنه .

عند انتقاله من أنطاكية لئلاّ يَسِيرَ المسلمون فى عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم ، والله اعلم .

وحدّثنى ابن طسون البَغْراسى عن اشياخهم أنّهم قالوا : الأمر المُتعالم عندنا انّ هِرَقْل نقل أهل هذه الحصون معه وشعّثها[1] فكان المسلمون اذا غزوا لم يجدوا بها احداً ، وربّما كمن عندها القوم من الروم فاصابوا غرّة المتخلّفين عن العسكر والمنقطعين عنها ، فكان ولاة الشواتى والصوائف اذا دخلوا بلاد الروم خلّفوا بها جنداً كثيفاً إلى خروجهم . وقد اختلفوا فى أوّل من قطع الدَّرْب ، وهو درب بَغْراس فقال بعضهم : قطعة مَيْسَرَة بن مسروق العبسى ، وجّهه أبو عبيدة بن الجرّاح ، فلقى جمعاً للروم ومعهم مستعربة من غَسّان وتَنُوخ وإياد ، يريدون اللحاق بهِرَقْل ، فاوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة : ثمّ لحق به مالك الأشْتَر النَّخَعى مدداً من قبل أبى عبيدة وهو بأنطاكية ، وقال بعضهم أوّل من قطع الدرب عُمَير بن سعد الانصارى حين توجّه فى امر جَبَلَة بن الأيْهَم . وقال ابو الخطّاب الأزْدى ، بلغنى أنّ أبا عبيدة نفسه غزا الصائفة فمرّ بالمَصِّيصَة وطَرْسُوس ، وقد جلا أهلها واهل الحصون التى تليها فادرب ، فبلغ فى غزاته زَنْدَة . وقال غيره انّما وجّه مَيْسَرَة بن مسروق فبلغ زَنْدَة . حدّثنى أبو صالح الفَرّاءُ عن رجل من أهل دِمَشْق يقال له عبد الله بن الوليد عن هشام بن الغاز ، عن عُبَادَة بن نُسَىّ ، فيما

---

(١) شعث الشيء : فرقه .

يحسب أبو صالح ، قال : لمّا غزا معاوية غزوة عَمُّورِيَّة فى سنة ٢٥ ، وجد الحصون فيما بين أنطاكية وطرسوس خالية ، فوقّف عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقِنَّسْرِين ، حتّى انصرف من غزاته ، ثمّ أغزى بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد بن الحُرّ العبسى الصائفة ، وأمره ففعل مثل ذلك ، وكانت الوُلاة تفعله . وقال هذا الرجل ، ووجدتُ فى كتاب مغازى معاوية أنّه غزا سنة ٣١ من ناحية المَصِّيصَة فبلغ دَرَوْلِيَّة ، فلمّا خرج لا يمرُّ بحصن فيما بينه وبين أنطاكية الاّ هدمه .

وحدّثنى محمّد بن سعد الواقدى وغيره قال : لمّا كانت سنة ٨٤ غزا على الصائفة عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، فدخل من درب أنطاكية وأتى المَصِّيصَة فبنى حصنها على أساسه القديم ، ووضع بها سكّاناً من الجند فيهم ثلاثمائة رجل أنتخبهم من ذوى البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك ، وبنى فيها مسجداً فوق تلّ الحصن ، ثم سار في جيشه حتّى غزا حصن مِنان ففتحه ووجّه يزيد بن حُنين الطائى الانطاكى فأغار ، ثمّ انصرف اليه . وقال أبو الخطّاب الأزْدى كان أوّل من ابتنى حصن المَصِّيصَة فى الاسلام عبد الملك بن مروان على يد ابنه عبد الله بن عبد الملك فى سنة ٨٤ ، على أساسها القديم فتُمّ بناؤها وشحنها فى سنة ٨٥ ، وكانت فى الحصن كنيسة جُعِلت هُرْياً [1] وكانت الطوالع من أنطاكية تطلع عليها فى كلّ عام

---

(١) الهرْى : البيت الكبير يجمع فيه القمح وغيره .

فنشتوا بها، ثمّ تنصرف وعدّة من كان يطلع إليها ألف وخمس مائة إلى الألفين . قال : وشخص عمر بن عبد العزيز حتّى نزل هري المَصِّيصَة وأراد هدمها ، وهدم الحصون بينها وبين أنطاكية ، وقال : أكره أن يحاصر الروم أهلها ، فأعلمه الناس أنّها عُمرت ليدفع من بها من الروم عن أنطاكية وأنّه ان اخربها لم يكن للعدوّ ناهية[1] دون انطاكية ، فامسك وبنى لأهلها مسجداً جامعاً من ناحية كفَرْبَيًّا واتّخذ فيه صهريجاً ، وكان اسمه عليه مكتوباً ، ثم انّ المسجد خرب في خلافة المعتصم بالله وهو يدعى مسجد الحصن . قال ثمّ بنى هشام بن عبد الملك الربض ، ثمّ بنى مروان بن محمد الخُصوص في شرقي جَيْحان ، وبنى عليها حائطاً واقام عليه باب خشب وخندق خندقاً ، فلما استخلف أبو العبّاس فرض بالمَصِّيصَة لاربع مائة رجل زيادة في شحنتها ، واقطعهم . ثمّ لما استخلف المنصور فرض بالمَصِّيصَة لاربع مائة رجل ، ثمّ لما دخلت سنة ١٣٩ أمر بعمران مدينة المَصِّيصَة، وكان حائطها متشعّثاً من الزلازل وأهلها قليل في داخل المدينة، فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة ١٤٠ ، وسمّاها المعمورة وبنى فيها مسجداً جامعاً في موضع هيكل كان بها، وجعله مثل مسجد عمر مسرّات ، ثم زاد فيه المأمون أيّام ولاية عبد الله بن طاهر بن الحسين المغرب ، وفرض المنصور فيها لالف رجل ، ثمّ نقل أهل الخُصُوص وهم فُرْس وصقالبة ، وانباط نصارى ، وكان مروان اسكنهم

---

(١) مكان ينتهي إليه فيكون أمناً للجند .

أيّاها وأعطاهم خططاً في المدينة عوضاً عن فنارلهم على ذرعها ، ونقض فنارلهم ، وأعانهم على البناء ، وأقطع الفرض قطائع وفلاكن .

ولما استكلف المهدى فرض بالمَصِّيصَة لألفى رجل ولم يقطعهم لأنّها قد كانت شُحِنت فن الجند والمطوّعة ، ولم تزل الطوالع تأتيها فن انطاكية في كلّ عام حتّى وليها سالم البَرَلّي ، وفرض فوضعه لخمس فائة فقاتل على خاصّة عشرة دنانير، فكثُر فن بها وقووا، وذلك في خلافة المهدى .

وحدّثني فحمد بن سهم عن فشايخ الثغر ، قالوا : الحّت الروم على أهل المصيصة في أوّل أيّام الدولة المباركة حتّى جلوا عنها ، فوجّه صالح بن على جَبْرِيل بن يحيى البَجَلى إليها فعمرها وأسكنها الناس في سنة ١٤٠ ، وبنى الرشيد كَفَرْبَيّا ، ويقال بل كانت ابتديت في خلافة المهدى ، ثمّ غيّر الرشيد بناءها وحصّنها بكندق ، ثمّ رُفع إلى المأفون في أمر غلّة كانت على فنارلها فأبطلها ، وكانت فنارلها كالخانات ، وأمر فجُعل لها سور فسرفع فلم يلتمّ حتّى توفّى ، فأمر المعتصم بالله باتمامه وتشريفه . قالوا : وكان الّذى حصّن المُثَقَّب هشام بن عبد الملك على يد حلّان بن فاهُوَيْه الانطاكى ، ووُجد في خندقه حين حُفِر عظم ساق فقرط الطول فبُعث به إلى هشام . وبنى هشام حصن قَطَرْغَاش على يدى عبد العزيز بن حيّان الانطاكى ، وبنى هشام حصن فُورة على يدى رجل فن أهل انطاكية ، وكان سبب بنائه ايّاه انّ الروم عرضوا لرسول له في درب اللُّكام عند العَقَبَة البيضاء، ورتّب فيه أربعين رجلاً وجماعة فن الجراجمة،

وقام بِبَغْراس مسلحة فى خمسين رجلاً وابتنى لها حصناً . وبنى هشام حصن بُوقا فى عمل انطاكية ، ثمّ جُدِّد واصلح حديثاً . وبنى محمد بن يوسف المروزى المعروف بأبى سعيد حصناً بلاحل أنطاكية بعد غارة الروم على ساحلها فى خلافة المعتصم بالله «رحمه» . حدّثنى داود بن عبد الحميد قاضى الرقّة عن أبيه ، عن جدّه ، أنّ عمر بن عبد العزيز «رضه» أراد هدم المَصِّيصَة ، ونقل أهلها عنها ، لما كانوا يلقون من الروم فتوفّى قبل ذلك .

وحدّثنى بعض أهل أنطاكية وبَغْراس ، أنّ قَلْمَة بن عبد الملك لما غزا عَمُّورِيَّة حمل قمعه نساءه ، وكانت بنو افيّة تفعل ذلك ارادة الجدّ فى القتال للغيرة على الحرم ، فلما صار فى عَقَبَة بَغْراس عند الطريق المُتدقّة التى تُشْرِفُ على الوادي سقط فحمل فيه افراة إلى الحضيض فأمر قَلْمَة أن تمشى سائر النساء فمشين ، فسُمِّيت تلك العقبة عَقَبَة النساء ، وقد كان المعتصم بالله « رحمه » ، بنى على حدّ تلك الطريق حائطاً قصيراً من حجارة . وقال أبو النعمان الانطاكى ، كان الطريق فيما بين أنطاكية والمَصِّيصَة قُلْبعة[1] يعترض للناس فيها الاسد ، فلمّا كان الوليد بن عبد الملك ، شُكى ذلك إليه ، فوجّه أربعة آلف جافوسة وجافوس فتنفع الله بها . وكان محمد بن القاسم الثّقفى ، عامل الحجّاج على السّند ، بعث منها بألوف جوافيس[2] فبعث الحجّاج إلى الوليد منها بما بعث من الاربعة

(١) مُسْبِعَة : تكثر فيها السباع .

(٢) والأصح : بألوف الجواميس .

الف وألقى باقيها فى آجام كَسْكَر ، ولما خُلع يزيد بين المهلّب ، فقتل وقبض يزيد بن عبد الملك اموال بنى المهلّب اصاب لهم اربعة الف جاموسة كانت بكور دجلة وكَسكَر ، فوجّه بها يزيد بن عبد الملك إلى المَصِّيصَة ايضاً مع رُطْها ، فكان أصل الجواميس بالمصِّيصَة ثمانية الف جاموسة ، وكان أهل انطاكية وقِنّسرين قد غلبوا على كثير منها واختاروه لأنفسهم فى أيّام فتنة مروان بن محمد بن مروان فلما استخلف المنصور أمر بردّها إلى المصيصه وامّا جواميس أنطاكية فكان أصلها ما قدم به الزُطّ معهم وكذلك جواميس بُوقا . وقال : أبو الخطّاب بُنى الجسر الّذى على طريق أذَنَه من المَصِّيصَة ، وهو على تسعة اميال من المَصِّيصَة سنة ١٢٥ فهو يُدعى جسر الوليد، وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول . وقال أبو النعمان الأنطاكى وغيره بُنِيت أذَنَة فى سنة ١٤١ أو ١٤٣ ، والجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مَسلمَة بن يحيى البَجَلى ، ومن أهل الشام مع مالك بن أدْهَمْ الباهلى ، وجّههما صالح بن على . ولما كانت سنة ١٦٥ أغزى المهدى ابنه هرون الرشيد بلاد الروم ، فنزل على الخليج ثمُ خرج ، فرمّ المصِّيصَة ومسجدها وزاد فى شحنتها وقوّى أهلها ، وبنى القصر الّذى عند جسر أذَنَة على سَيْحان ، وقد كان المنصور أغزى صالح بن على بلاد الروم ، فوجّه هلال بن ضيغم في جماعة من أهل دمشق والأردنّ وغيرهم ، فبنى ذلك القصر ولم يكن بناؤه محكماً فهدمه الرشيد وبناه ، ثمّ لما كانت ١٩٤ بنا ابو سُلَيم فرج الخادم أذَنَة ،

فأحكم بناءها وحَصَّنها وندب إليها رجالا من أهل خراسان وغيرهم على زيادة فى العطاء ، وذلك بأمر محمد بن الرشيد ، فرمّ قصر سَيْحان ، وكان الرشيد توفّى سنة ١٩٣ ، وعامله على أعشار الثغور أبو سُلَيم ، فأقرّه محمد ، وأبو سُلَيم هذا هو صاحب الدار بأنطاكية .

وحدّثنى محمد بن سعد ، عن الواقدى قال : غزا الحسن بن قَحْطَبَة الطائى بلاد الروم سنة ١٦٢ فى أهل خراسان، وأهل الموصل والشام وأمداد اليمن ومطوّعة العراق والحجاز ، خرج مما يلى طرسوس فاخبر المهدى بما فى بنائها وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة ، من عظيم الغناء عن الاسلام والكبت للعدوّ والوقم[1] له فيما يحاول ويكيد ، وكان الحسن قد أبلى فى تلك الغزاة بلاءً حسناً ودوّخ ارض الروم حتّى سمّوه الشيْطَن ، وكان معه فى غزاته مَنْدَل العَنَزِى المحدّث الكوفى ، ومُعْتَمِر بن سليمان البصرى .

وحدّثنى محمد بن سعد قال : حدّثنى سعد بن الحسن قال : لما خرج الحسن من بلاد الروم ، نزل مرج طرسوس فركب إلى مدينتها ، وهى خراب ، فنظر إليها واطاف بها من جميع جهاتها ، وحزر عدّة من يسكنها فوجدهم مائة الف ، فلما قدم على المهدى ، وصف له أمرها وما فى بنائها وشحنتها من غيظ العدوّ وكبته ، وعزّ الاسلام وأهله ، وأخبره فى الحَدَث أيضاً بخبر رغّبه فى بناء مدينتها ، فأمره ببناء طرسوس وأن يبدأ بمدينة الحَدَث فبنيت ، وأوصى المهدى ببناء طرسوس ، فلما كانت

(١) وقم الرجل : قهره واذلّه .

سنة ١٧١ بلغ الرشيد أنّ الروم اتسروا بينهم بالخروج إلى طرسوس لتحصينها وترتيب المقاتلة فيها ، فأغزى الصائفة في سنة ١٧١[1] هَرْثَمَةَ بن أَعْيَن ، وأمره بعمارة طرسوس وبنائها وتحصينها ، ففعل وأجرى أمرها على يد فَرَج بن سُليم الخادم بأمر الرشيد فوكّل فَرَج ببنائها ، وتوجّه أبو سُليم إلى مدينة السلام فاشخص الندبة[2] الأولى من أهل خراسان وهم ثلاثة آلف رجل ، فوردوا طرسوس ، ثمّ اشخص الندبة الثانية وهم ألفا رجل ، الف من أهل المَصِّيصَة ، وألف من أهل انطاكية على زيادة عشرة دنانير لكلّ رجل من أصل عطائه ، فعسكروا مع الندبة الأولى بالمذائن على باب الجهاد في مستهلّ المحرّم سنة ١٧٢ ، إلى ان استتمّ بناءُ طرسوس وتحصينها ، وبناء مسجدها ومسح فَرَج ما بين النهر إلى النهر ، فبلغ ذلك اربعة الاف خطّة ، كلّ خطّة ٢٠ ذراعاً في مثلها واقطع اهل طرسوس الخطط ، وسكنتها الندبتان في شهر ربيع الآخر سنة ١٧٢ .

قالوا : وكان عبد الملك بن صالح قد استعمل يزيد بن مَخْلَد الفزاري على طرسوس فطرده من بها من أهل خراسان ، واستوحشوا منه للهُبَيريّة ، فاستخلف أبا الفوارس فأقرّه عبد الملك بن صالح ، وذلك في سنة ١٧٣ .

قال محمّد بن سعد : حدّثني الواقدي قال : جلا أهل سِيسِيَّة ولحقوا

---

(١) وقيل في سنة : ١٩١ .

(٢) الندبة : الجماعة المنتدبة ، الموكل إليها القيام بمهمة ما .

بأعلى الروم فى سنة ١٩٤ أو ١٩٣ ، وسِيسِيَّة مدينة تلّ عَيْن زَرْبَة ، وقد عمرت فى خلافة المتوكل على الله على يدى على بن يحيى الأرمنى ، ثمّ اخربتها الروم .

قالوا ، فكان الذى أحرق أنطاكية المحترقة ببلاد الروم ، عبّاس بن الوليد بن عبد الملك ، قالوا : وتلّ جُبَيْر نُسِبت إلى رجل من فُرْس انطاكية كانت له عنده وقعة ، وهو من طرسوس على أقلّ من ١٠ اميال ، قالوا : والحصن المعروف بذى الكِلاع ، انّما هو الحصن ذو القِلاع لأنّه على ثلاث قلاع فحرف اسمه ، وتفسير اسمه بالرومية الحصن الذى مع الكواكب . وقالوا : سمّيت كنيسة الصُلح لأنّ الروم لمّا حملوا صلحهم إلى الرشيد نزلوها ، ونُسب مرج حسين إلى حسين بن مُسلِم الانطاكى ، وذلك أنّه كانت له به وقعة ونكاية فى العدوّ ، قالوا : وأغزى المهدى ابنه هارون الرشيد فى سنة ١٦٣ فحاصر أهل ضَمَالُو وهى التى تدعوها العامّة سَمَالو ، فسألوه الامان لعشرة اهل ابيات ، فيهم القومس ، فاجابهم إلى ذلك ، وكان فى شرطهم ان لا يفرق بينهم ، فانزلوا ببغداد على باب الشمّاسية ، فسمّوا موضعهم سَمَالو فهو معروف ، ويقال : بل نزلوا على حكم المهدى ، فاستحياهم وجمعهم بذلك الموضع وامر أن يسمّى سَمَالُوا ، وأمر الرشيد فنودى على من بقى فى الحصن فبيعوا ، وأُخِذ حُبْشِىّ كان يشتم الرشيد والمسلمين ، فصُلب على برج من ابراجه .

وحدّثنى أحمد بن الحارث الواسطى ، عن محمّد بن سعد ، عن الواقدى قال : لما كانت سنة ١٨٠ أمر الرشيد بابتناء مدينة عَيْن زَرْبَة وتحصينها وندب إليها نُدَبَة من أهل خراسان وغيرهم ، فأقطعهم بها المنازل ، ثم لما كانت سنة ١٨٣ أمر ببناء الهارونية ، فبُنِيت وشُحِنت أيضاً بالمقاتلة ومن نزح إليها من المطوّعة ونُسِبت إليه ، ويقال أنّه بناها فى خلافة المهدى ، ثمّ أتمّت فى خلافته . قالوا : وكانت الكنيسة السوداء من حجارة سود بناها الروم على وجه الدهر ، ولها حصن قديم أُخْرِب فى ما أُخْرِب ، فأمر الرشيد ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها وندب اليها المقاتلة فى زيادة العطاء .

وأخبرنى بعض أهل الثغر عَزُّون بن سعد انّ الروم اغارت عليها ، والقاسم بن الرشيد مقيم بدَابِق فاستاقوا مواشى أهلها وأسروا عدّة منهم فنفر إليهم أهل المَصِّيصَة ، ومطوّعتها فاستنقذوا جميع ما صار إليهم وقتلوا منهم بشراً ، ورجع الباقون منكوبين مفلولين فوجّه القاسم من حصّن المدينة ورمّها ، وزاد فى شحنتها ، وقد كان المعتصم بالله نقل إلى عين زَرْبَة ونواحيها بشراً من الزُّطّ الّذين قد كانوا غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فانتفع اهلها بهم .

حدّثنى أبو صالح الأنطاكى قال : كان أبو اسحاق الفزارى يكره شرى[1] أرض بالثغر ، ويقول غلب عليه قوم فى بدء الأمر وأجلوا الروم

(١) شرى : ابتياع .

عنه ، فلم يقتسموه ، وصار إلى غيرهم ، وقد دخلت فى هذا الأمر شبهة العاقل حقيق بتركها ، وكانت بالثغر ايغارات قد تحيَّفت ما يرتفع من أعشاره حتَّى قصرت عن نفقاته فأمر المتوكل فى سنة ٢٤٣ بابطال تلك الايغارات فأُبطِلت .

فتوح الجزيرة

حدَّثنى داود بن عبد الحميد قاضى الرَّقَّة ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن مَيْمُون بن مِهْران قال : الجزيرة كلُّها فتوح عِيَاض بن غَنْم بعد وفاة أبى عبيدة ، ولاَّه آيَّاها عمر بن الخطَّاب ، وكان أبو عبيدة استخلفه على الشام ، فولَّى عمر بن الخطَّاب يزيد بن أبى سفيان ، ثمَّ معاوية من بعده الشام ، وامر عِيَاضاً بغزو الجزيرة .

وحدَّثنى الحسين بن الأسود ، قال حدَّثنا يحيى بن آدم عن عدَّة من الجزريّين ، عن سليمان بن عَطَاء القرشى ، قال : بعث أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة ، فمات أبو عبيدة وهو بها فولاَّه عمر ايَّاها بعدُ .

وحدَّثنى بكر بن الهَيْثَم قال : حدَّثنا النُّفَيْلى عبد الله بن محمَّد قال : حدثنا سليمان بن عَطَاء قال : لمَّا فتح عياض بن غنم الرُّهَا ، وكان أبو عبيدة وجَّهه وقف على بابها ، على فرس له كميت ، فصالحوه على أنَّ لهم هيكلهم وما حوله ، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ، الاَّ ما كان

لهم ، وعلى معونة المسلمين على عدوّهم ، فان تركوا شيئاً ممّا شرط عليهم فلا ذمّة لهم ، ودخل أهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرُّها .
وقال : محمّد بن سعد قال الواقدى : اثبت ما سمعنا فى امر عياض ، انّ ابا عبيدة مات فى طاعون عَمَواس سنة ١٨ ، واستخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بتوليته حمص وقِنّسْرِين والجزيرة ، فسار إلى الجزيرة يوم الخميس للنصف من شعبان سنة ١٨ فى خمسة آلاف ، وعلى مقدمته مَيْسَرَة بن مسروق العبسى ، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحى ، وعلى ميسرته صَفْوان بن المُعَطَّل السُّلَمى ، وكان خالد بن الوليد على ميسرته ، ويقال انّ خالداً لم يسر تحت لواء أحد بعد أبى عبيدة ، ولزم حمص حتّى توفّى بها سنة ٢١ ، وأوصى إلى عمير وبعضهم يزعم أنّه مات بالمدينة وموته بحمص اثبت . قالوا : فانتهت طليعة عياض إلى الرَّقّة فاغاروا على حاضر كان حولها للعرب ، وعلى قوم من الفلاّحين فاصابوا مغنماً ، وهرب من نجا من أولئك فدخلوا مدينة الرَّقّة ، واقبل عياض فى عسكره حتّى نزل باب الرُّهَا وهو احد أبوابها فى تعبئة ، فرُمى المسلمون ساعة ، حتّى جُرح بعضهم ، ثمّ انّه تأخّر عنهم لئلاّ تبلغَه حجارتهم وسهامهم ، وركب فطاف حول المدينة ، ووضع على أبوابها روابط ، ثمّ رجع إلى عسكره وبثّ السرايا ، فجعلوا يأتون بالاسرى من القرى ، وبالأطعمة الكثيرة ، وكانت الزروع مستحصدة ، فلما مضت خمسة أيّام ، أو ستّة وهم على ذلك ارسل بطريق المدينة إلى

عياض يطلب الأمان ، فصالحه عياض على أن أمّن جميع أهلها على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم وقال عياض : الأرض لنا قد وطئناها وأحرزناها فأقرّها في أيديهم على الخراج ، ودفع منها ما لم يردّ أهل الذمّة فرفضوه إلى المسلمين على العشر ووضع الجزية على رقابهم فالزم كلّ رجل منهم ديناراً في كل سنة ، وأخرج النساء والصبيان ، ووظّف[1] عليهم مع الدينار اقفزة من قمح ، وشيئاً من زيت ، وخل ، وعسل . فلّما ولي معاوية جعل ذلك جزية عليهم ، ثمّ انّهم فتحوا ابواب المدينة ، واقاموا للمسلمين سوقاً على باب الرُّهَا ، فكتب لهم عياض :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عِيَاض بن غَنْم ، أهل الرقّة يوم دخلها ، اعطاهم اماناً لانفسهم ، واموالهم وكنائسهم ، لا تخرب ولا تسكن إذا اعطوا الجزية التي عليهم ، ولم يحدثوا مغيلة ، وعلى أن لايحدثوا كنيسة ولا بيعة ، ولا يظهروا ناقوساً ولا باعوثاً ، ولا صليباً ، شهد الله وكفى بالله شهيداً . وختم عياض بخاتمه.. ويقال أنّ عياضاً ألزم كل حالم من أهل الرقّة أربعة دنانير ، والثبت أنّ عمر كتب بعدُ إلى عُمَير بن سعد وهو واليه ، ان ألزم كلّ امرىء منهم اربعة دنانير ، كما ألزم أهل الذهب . قالوا : ثمّ سار عياض إلى حَرّان فنزل بأجدّى وبعث مقدمته . فأغلق أهل حَرّان أبوابها دونهم ثمّ ، اتبعهم فلمّا نزل بها بعث إليه الحَرْنانيّة من أهلها يعلمونه أنّ في أيديهم طائفة من

---

(١) وظف عليهم : فرض عليهم .

المدينة ، ويسألونه أن يصير إلى الرُّهَا فما صالحوه عليه من شئ قنعوا به وخلُّوا بينه وبين النصارى حتّى يصيروا إليه ، وبلغ النصارى ذلك فارسلوا إليه بالرضى بما عرض الحَرْنانِيَّة وبذلوا ، فأتى الرُّهَا وقد جمع له اهلها فرموا المسلمين ساعة ، ثمّ خرجت مقاتلتهم فهزمهم المسلمون حتّى الجأوهم إلى المدينة ، فلم ينشبوا[1] أن طلبوا الصلح والأمان فأجابهم عياض إليه وكتب لهم كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عياض بن غنم ، لأسقف الرُّهَا انّكم ان فتحتم لى باب المدينة على أن تؤدّوا إلىّ عن كلّ رجل ديناراً ، ومدى قمح ، فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم وعليكم ارشاد الضالّ ، واصلاح الجسور والطرق ، ونصيحة المسلمين ، شهد الله وكفى بالله شهيداً .

وحدّثنى داود بن عبد الحميد عن أبيه ، عن جدّه ، انّ كتاب عياض لأهل الرُّهَا :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين لاهل الرّهَا ، انّى امنتهم على دمائهم واموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم ، اذا أدّوا الحقّ الّذى عليهم ان يصلحوا جسورنا ويهدوا ضالّنا ، شهد الله وملائكته والمسلمون . قال : ثمّ أتى عياض حَرَّان ورجّه صَفْوان بن المُعَطَّل ، وحَبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى إلى

(١) لم ينشبوا : لم يلبثوا .

سُمَيْسَاط ، فصالح عياض أهل حَرَّان على مثل صلح الرُّهَا ، وفتحوا له أبوابها وولاّها رجلاً ، ثمَّ سار إلى سُمَيْساط فوجد صَفْوان ابن المُعَطَّل ، وحَبيب بن مَسْلَمَة مقيمَين ، وقد غَلَبَا على قرى وحصون من قراها وحصونها ، فصالحه أهلها على مثل صلح أهل الرُّهَا ، وكان عياض يغزو من الرُّهَا ثمَّ يرجع إليها . وحدَّثني محمَّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهرى قال : لم يبق بالجزيرة موضع قدم الاّ فتح على عهد عمر بن الخطَّاب (رضه) على يدى عياض بن غنم ، فتح حَرَّان والرُّهَا والرَّقَّة وقَرْقِيسِيَا ونَصِيبِين وسِنْجار .

وحدَّثني محمَّد ، عن الواقدى ، عن عبد الرحمن بن مَسْلَمَة ، عن فُرَات ابن سَلْمَان ، عن ثابت بن الحجَّاج قال : فتح عياض الرَّقَّة وحَرَّان والرُّها ونَصِيبِين ومَيَّافارِقِين وقَرْقِيسِيَا ، وقرى الفرات ومدائنها صلحاً ، وارضها عنوة .

وحدَّثني محمَّد ، عن الواقدى ، عن ثَوْر بن يزيد ، عن راشد بن سعد أنَّ عياضاً افتتح الجزيرة ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة . وقد رُوى أنَّ عياضاً لمَّا أتى حَرَّان من الرَّقَّة ، وجدها خالية قد انتقل أهلها إلى الرُّها ، فلمَّا فتحت الرُّها ، صالحوا عن مدينتهم وهم بها ، وكان صلحهم مثل صلح الرُّها .

وحدَّثني أبو أيُّوب الرَّقِّى المؤدِّب قال: حدَّثني الحجَّاج بن أبى منيع الرُّصافى عن ابيه، عن جدِّه، قال: فتح عياض الرَّقَّة ثمَّ الرُّها، ثمَّ حَرَّان،

ثمَّ سَمَيْساط على صلح واحد ، ثمَّ أتى سَروج وراسكِيفا والأرض البيضاء ، فضلب على أرضها وصالح أهل حصونها على مثل صلح الرها ، ثمَّ انَّ سُمَيساط[1] كفروا ، فلمَّا بلغه ذلك رجع إليه فحاصرها حتَّى فتحها ، وبلغه أنَّ أهل الرها قد نقضوا ، فلمَّا أناخ عليهم فتحوا له أبواب مدينتهم ، فدخلها وخلَّف بها عامله في جماعة ، ثمَّ أتى قُرَيَّات الفرات وهي جسر مَنْبِج وذواتها ، ففتحها على ذلك ، وأتى عين الوَرْدَة وهي رأسُ العَيْنِ فامتنعت عليه فتركها ، وأتى تلَّ مَوْزِن ففتحها على مثل صلح الرها وذلك في سنة ١٩ ، ووجَّه عياض إلى قَرْقِيسِيَا حَبيبَ بن مَسْلَمَة الفِهْرى ، ففتحها صلحاً على مثل صلح الرقَّة ، وفتح عياض آمِد بغير قتال على مثل صلح الرها ، وفتح مَيَّافارِقين على مثل ذلك ، وفتح حصن كَفَرْتُوثَا ، وفتح نَصِيبِين بعد قتال على مثل صلح الرها ، وفتح طُور عَبْدِين ، وحصن مَارِدِين ودارا ، على مثل ذلك ، وفتح قَرْدَى وبازَبْدَى ، على مثل صلح نَصِيبِين ، وأتاه بطريق الزَّوْزان فصالحه عن أرضه على أتاوة وكلّ ذلك في سنة ١٩ ، وأيَّام من المحرَّم سنة ٢٠ ثمَّ سار إلى أَرْزَن ففتحها على مثل صلح نَصِيبِين ، ودخل الدرب فبلغ بَدْلِيس وجارها إلى خِلاط وصلح بطريقها ، وانتهى إلى العين الحامضة من ارمينية فلم يعدُها ، ثمَّ عاد فضمَّن صاحب بدْلِيس خراج خِلاط وجماجمها وما على بطريقها ، ثمَّ انَّه انصرف إلى الرقَّة ،

---

(١) يقصد أهل سميساط .

ومضى إلى حمصَ وقد كان عمر ولاه ايَّاها ، فمات سنة ٢٠ وولّى عمر سعيد بن عامر بن حِذْى ، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتّى مات ، فولّى عمر عُمَير بن سعد الأنصارى ففتح عين الوَرْدَة بعد قتال شديد .

وقال الواقدى : حدّثنى من سمع اسحاق بن أبى فرْوَة يحدّث عن أبى وهب الجَيْشانى دَيْلَم بن الْوَسَّع ، أنّ عمر بن الخطّاب « رضه » ، كتب إلى عياض يأمره أن يوجّه عُمَير بن سعد إلى عين الوَرْدَة ، فوجّهه إليها فقدّم الطلائع امامه ، فاصابوا قوماً من الفلاّحين وغنموا مواشىَ من مواشى العدوّ ، ثمّ أنّ أهل المدينة غلّقوا أبوابها ونصبوا العرّادات[1] عليها ، فقُتل من المسلمين بالحجارة والسهام بشر ، واطلع عليهم بطريق من بطارقتها فشتمهم ، وقال : لسنا كمن لقيتم ، ثمّ إنّها فتحت بعدُ على صلح .

حدّثنى عمرو بن محمّد عن الحجّاج بن أبى مَنِيع ، عن ابيه ، عن جدّه قال : امتنعت رأس العين على عياض بن غنم ، ففتحها عُمَير بن سعد ، وهو والى عمر على الجزيرة ، بعد أن قاتل أهلها المسلمين قتالا شديداً ، فدخلها المسلمون عنوة ، ثمّ صالحوهم بعد ذلك على أن دفعت الأرض اليهم ، ووضعت الجزية على رؤوسهم ، على كل رأس أربعة دنانير ، ولم تُسْبَ نساؤهم ولا أولادهم .

---

(١) العرّادات : ج عرّادة ، وهى آلة لرمى الحجارة .

وقال الحجّاج : وقد سمعت مشايخ من أهل رأس العين يذكرون أنّ عُمَيراً لمّا دخلها قال لهم ، لا بأس لا بأس ، إلىّ الىّ ، فكان ذلك أماناً لهم وزعم الهَيْثَم بن عَدِىّ ، انّ عمر بن الخطّاب « رضه » ، بعث أبا موسى الأشعرى إلى عين الوَرْدَة ، فغزاها بجند الجزيرة بعد وقاة عياض والثبت انّ عُمَيْراً فتحها عنوة فلم تُسْبَ وجعل عليهم الخراج والجزية ، ولم يقل هذا احد غير الهَيْثَم . وقال الحجّاج بن أبى مَنِيع جلا خلق من أهل رأس العين ، وأحتمل المسلمون أراضيهم وإزدرعوها باقطاع .

وحدّثنى محمّد بن المُفَضّل المَوْصِلى عن مشايخ من أهل سِنْجَار ، قالوا : كانت سِنْجَار فى ايدى الروم ، ثمّ أنّ كسرى المعروف بأبَرْوِيز اراد قتل مائة رجل من الفرس كانوا حُملوا إليه بسبب خلاف ومعصية ، فكُلِّم فيهم ، فأمر أن يوجّهوا إلى سِنْجار ، وهو يومئذ يعانى فتحها فمات منهم رجلان ووصل إليها ثمانية وتسعون رجلاً ، فصاروا مع المقاتلة الّذين كانوا بارائها ففتحوها دونهم واقاموا بها وتناسلوا ، فلمّا انصرف عياض من خِلاط وصار إلى الجزيرة ، بعث إلى سِنْجار ، ففتحها صلحا واسكنها قوماً من العرب ، وقد قال بعض الرواة أنّ عياضاً فتح حصنا من المَوْصِل ، وليس ذلك بثبت . قال ابن الكلبى عُمَيْر بن سعد عامل عمر ، هو عُمَيْر بن سعد بن شُهَيْد بن عمرو واحد الأوْس ، وقال الواقدى هو عُمَيْر بن سعد بن عُبَيْد ، وقتل أبوه سعد يوم القادسية ،

وسعد هذا هو الذى يروى الكوفيون أنّه احد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ . قال الواقدى : وقد روى قوم أنّ خالد بن الوليد ولى لعمر بعض الجزيرة فاطّلى[1] فى حمّام بآمِد أو غيرها بشيء فيه خمر ، فعزله عمر وليس ذلك بثبت .

وحدّثنى عمرو الناقد قال : حدّثنى الحَجّاج بن ابى مَنِيع عن أبيه عن جدّه عن مَيْمُون بن مِهْران قال ، أخذ الزيت والخلّ والطعام لمرفق المسلمين بالجزيرة مدّة ، ثمّ خفّف عنهم واقتصر بهم على ثمانية وأربعين درهماً ، وأربعة وعشرين واثنا عشر ، نَظَراً من عمر للناس ، وكان على كلّ انسان مع جزيته مدّاً قمح وقسطان من زيت وقسطان من خلّ .

وحدّثنى عدّة من أهل الرقّة ، قالوا : لمّا مات عياض وولى الجزيرة سعيد بن عامر بن حِذْيَم، بنى مسجد الرقّة ومسجد الرُّها ثمّ توفّى فبنى المساجد بديار مُضَر وديار ربيعة عُمَير بن سعد . ثمّ لمّا ولى معاوية الشام والجزيرة لعثمان بن عفّان «رضه» امره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى، ويأذن لهم فى اعتمال الأرضين التى لا حق فيها لاحد فأنزل بنى تميم الرابيه، وانزل المازجين والمدَيْبِر اخلاطاً من قيس وأسَد وغيرهم ، وفعل ذلك فى جميع نواحى ديار مضر ، ورتّب ربيعة فى ديارها على ذلك . وألزم المدن والقرى والمسالح من يقوم بحفظها ويذبّ[2] عنها من أهل العطاء ثمّ جعلهم من عمّاله .

(١) اطّلى : تلطّخ .

(٢) يذبّ : يدافع ويناضل .

وحدّثنى أبو حفص الشامى عن حمّاد بن عمرو النّصيبى قال : كتب عامل نَصِيبِين إلى معاوية وهو عامل عثمان على الشام والجزيرة يشكو اليه انّ جماعة من المسلمين ممّن معه اصيبوا بالعقارب ، فكتب إليه يأمره أن يوظّف على أهل كلّ حَيّز من المدينة عدّة من العقارب مسمّاة فى كلّ ليلة ففعل ، فكانوا يأتونه بها فيأمر بقتلها .

وحدّثنى أبو أيّوب المؤدّب الرّقّى عن أبى عبد الله القَرْقَسَانى عن أشياخه انّ عُمَير بن سعد لمّا فتح رأس العين سلك الخابور وما يليه حتّى اتى قَرْقِيسِيَا ؛ وقد نقض أهلها فصالحهم على مثل صلحهم الأوّل ، ثم اتى حصون الفُرات حصناً حصناً ففتحها على ما فتحت علىّ قَرْقِيسِيَا ، ولم يلق فى شىء منها كثير قتال ، وكان بعض أهلها ربّما رموا بالحجارة ، فلمّا فرغ من تلبس وعانَات ، أتى النّاوسَة والأُوسَة وهِيت ، فوجد عمّار بن ياسر ، وهو يومئذ عامل عمر بن الخطّاب على الكوفة ، وقد بعث جيشاً يستغزى ما فوق الأنبار ، عليه سعد بن عمرو بن حَرَام الأنصارى وقد أتاه أهل هذه الحصون فطلبوا الأمان ، فأمنهم واستثنى على أهل هِيت نصف كنيستهم فانصرف عُمَير إلى الرّقّة .

وحدّثنى بعض أهل العلم قال : كان الذى توجّه إلى هِيت والحصون التى بعدها من الكوفة مِدْلاج بن عمرو السّلَمى حليف بنى عبد شمس ، وله صحبة ، فتولّى فتحها وهو بنا[1] الحديثَة التى على الفُرات

---

(١) والصواب : بنى .

وولده بهيت وكان منهم رجل يكنّى أبا هارون باقي الذكر هناك .
ويقال : أنّ مِدلاجاً كان من قبل سعد بن عمرو بن حَرَام ، والله أعلم .

قالوا : وكان موضع نهر سعيد بن عبد الملك بن مروان (وهو الذى يقال له سعيد الخير وكان يظهر نسكاً) غيضة ذات سباع فاقطعه أيّاها الوليد فحفر النهر وعمّر ما هناك ، وقال بعضهم ، الّذى اقطعه ذلك عمر ابن عبد العزيز . قالوا : ولم يكن للرّافِقَة أثر قديم ، انّما بناها أمير المؤمنين المنصور «رحمه» سنة ١٥٥ على بناء مدينته ببغداد ورتّب فيها جنداً من أهل خراسان ، وجرت على يدى المهدى وهو ولىّ عهد ثمّ انّ الرشيد بنى قصورها فكان بين الرّقّة والرافقة ، فضاء مزارع ، فلمّا قدم على بن سليمان بن على والياً على الجزيرة نقل اسواق الرّقّة إلى تلك الأرض ، فكان سوق الرّقّة الأعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق ثمّ لمّا قدم الرشيد الرّقّة استزاد فى تلك الأسواق ، فلم تزل تجتبى مع الصوافى ، وأمّا رُصافَة هشام بن عبد الملك أحدثها ، وكان ينزل قبلها الزّيْتُونَة ، وحفر الهَنِىّ والمَرِىّ ، واحدث فيها واسط الرّقّة ، ثمّ إنّ تلك الضيعة قبضت فى أوّل الدولة ثمّ صارت لامّ جعفر زُبَيْدَة بنت جعفر بن المنصور ، فابتنت فيها القطيعة التى تنسب إليها وزادت فى عمارتها ولم يكن للرّحْبَة التى فى أسفل قَرْقِيسِيَا أثر قديم انّما بناه واحدثها مالك بن طَوْق بن عتّاب التغلبى فى خلافة المأمون ، وكانت أذْرَمَة من ديار ربيعة قرية قديمة فأخذها الحسن بن عمر بن الخطّاب التغلبى من صاحبها وبنى

بها قصراً وحصّنها ، وكانت كَفَرْتُوثا حصناً قديماً فاتّخذها ولد أبى رِمْثَة منزلا فمدّنوها وحصّنوها .

حدّثنى مُعَافَى بن طاوس عن أبيه قال : سألت المشايخ عن أعشار بَلَد وديار ربيعة والبرية ، فقال هى أعشار ما أسلمت عليه العرب أو عمّرته من الموات الّذى ليس فى يد احد أو رفضه النصارى ، فمات وخلت عليها الدخل فاقطعه العرب .

حدّثنى أبو عفّان الرقّى عن مشايخ من كُتّاب الرقّة وغيرهم . قالوا : كانت عين الرومية وساؤها للوليد بن عُقْبَة بن أبى مُعَيط ، فأعطاها ابا زُبَيْد الطائى ، ثمّ صارت لأبى العبّاس أمير المؤمنين فاقطعها مَيْمُون بن حمزة مولى علىّ بن عبد الله بن عبّاس ، ثمّ ابتاعها الرشيد من ورثته وهى من أرض الرقّة . قالوا : وكان ابن هبيرة أقطع غابة ابن هُبيرة فقُبِضت وأقطعها بِشْر بن مَيْمون صاحب الطاقات ببغداد بناحية باب الشام ، ثمّ ابتاعها الرشيد وهى من أرض سَرُوج ، وكان هشام اقطع عائشة ابنته قَطِيعة بِرّاً سكيفا تُعْرَفُ بها فقبضت ، وكانت لعبد الملك وهشام قرية تدعى سَلَعُوس ونصف قرية تدعى كَفَرْجَدّاً من الرُّها ، وكانت بحَرّان للغَمْر بن يزيد تلّ حفراء وأرض تلّ مذابا[1] وأرض المُصَلّى وصوافى فى ربض حَرّان ومستغلاّتها ، وكان مرج عبد الواحد حمى

---

(١) هكذا فى الاصل .

المسلمين قبل أن تبنى الحَدَث وزِبَطْرَة ، فلمَّا بُنِيتا استغنى بهما فعُمر ، فضمَّه الحسين الخادم إلى الاحواز فى خلافة الرشيد ، ثمّ توثَّب الناس عليه فغلبوا على مزارعه حتَّى قدم عبد الله بن طاهر الشام ، فردّه إلى الضياع ، وقال أبو أيُّوب الرقّى سمعتُ انّ عبد الواحد الَّذى نُسب المرج إليه ، عبد الواحد بن الحارث ابن الحكَم بن أبى العاصى وهو ابن عمّ عبد الملك ، كان المرج له فجعله حمى للمسلمين وهو الَّذى مدحه القُطامىُّ فقال :

أَهْلُ المَدِينَةِ لاَ يَحْزُنْكَ شَأْنُهُمُ إِذَا تَخَطَّأَ عَبْدَ الْوَاحِدِ الأَجَلُ

أمرُ نصارَى بَنِى تغلِب بن وائِل

حدّثنا شَيْبان بن فَرُّوخ قال : حدّثنا أبو عُوانة عن المغيرة عن السَّفّاح الشَيْبانى أنّ عمر بن الخطَّاب « رضه » أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بنى تغلب فانطلقوا هاربين ولحقت طائفة منهم ببُعدٍ من الأرض فقال النعمان بن زُرْعَة أو زُرْعَة بن النعمان ، أنشدُك الله فى بنى تغلب فانّهم قوم من العرب نائفون من الجزية ، وهم قوم شديدة نكايتهم فلا يُغن عدوُّك عليك بهم ، فأرسل عمر فى طلبهم فردّهم وأضعف عليهم الصدقة .

حدّثنا شَيْبان قال : حدّثنا عبد العزيز بن مُسْلِم قال : حدّثنا لَيْث

عن رجل ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عبَّاس قال : لا توكل[1] ذبائح نصارى بنى تغلب ولا تنكح نساؤهم ليسوا منَّا ولا من اهل الكتاب .

حدّثنا عبَّاس بن هشام عن أبيه عن عُوانة بن الحكَم وأبى مخنَف قالا: كتب عُمَير بن سعد إلى عمر بن الخطَّاب « رضه » يعلمه أنَّه اتى شِقّ الفُرات الشامى ؛ ففتح عانات وسائر حصون الفرات ، وانه اراد مَنْ هناك من بنى تغلب على الاسلام فأبوه وهمُّوا باللحاق بأرض الروم وقبلهم ما أراد مَنْ فى الشِقّ الشرقى على ذلك ، فامتنعوا منه وسألوه أن يأذن لهم فى الجلاء واستطلع رأيه فيهمْ ، فكتب إليه عمر « رضه » يأمره أن يضعف عليهم الصدقة التى تؤخذ من المسلمين فى كلّ سائمة وأرض ، وأن أبوا ذلك حاربهم حتَّى يبيدهم أو يُسلِموا ، فقَبِلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة ، وقالوا امَّا إذ لم تكن جزية كجزية الأعلاج ، فانَّا نرضى ونحفظ ديننا .

حدّثنى عمرو الناقد قال ، حدّثنى أبو معاوية ، عن الشيبانى ، عن السفَّاح ، عن داود بن كُرْدُوس قال : صَالح عمر بن الخطَّاب بنى تغلب بعد ما قطعوا الفرات وارادوا اللحاق بارض الروم على أن لا يصبغوا صبيًّا ولا يكرهوه على دينهم وعلى أنَّ عليهم الصدقة مضعفة . قال : وكان داود بن كُرْدُوس يقول ليست لهم ذمَّة ، لانَّهم قد صبغوا فى دينهم يعنى

(١) أى : لا تؤكل .

المعمودية . فحدّثني الحسين بن الأسود قال : حدّثنا يحيى بن آدم عن ابن المبارك ، عن يونس بن يزيد الأيلى ، عن الزُّهْرى ، قال ليس فى مواشى أهل الكتاب صدقة ، إلاّ نصارى بن تغلب أو قال نصارى العرب الذين عامّة أموالهم ، المواشى فانّ عليهم ضعف ما على المسلمين .

حدّثنا سعيد بن سليمان سَعْدَوَيْه عن هُشَيم عن مُغيرة ، عن السفّاح ابن المُثنّى ، عن زُرْعَة بن النعمان ، انّه كان كلّم عمر فى نصارى بنى تغلب ، وقال قوم عرب نافسون من الجزية وانّما هم أصحاب حروث ومواش ، وكان عمر قد همّ أن يأخذ الجزية منهم ، فتفرّقوا فى البلاد فصالحهم على أن أضعف عليهم ما يؤخذ من المسلمين من صدقاتهم فى الأرض ، والماشية ، واشترط عليهم ان لا ينصّروا اولادهم . قال مُغيرة فكان على «عم»[1] يقول : لَئن تفرّغتُ لبنى تغلب ليكوننّ لى فيهم رأى لاقتلنّ مقاتلتهم ولاسبينّ ذرّيتهم فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذّمة حين نَصّروا أولادهم .

وحدّثنى أبو نصر التّمّار قال : حدّثنا شَريك بن عبد الله ، عن ابراهيم بن مهاجر ، عن زيادة بن حُدَير الأسَدى ، قال : بعثنى عمر إلى نصارى بنى تغلب آخذ منهم نصف عشر أموالهم ، ونهانى أن أعشّر مسلماً أو ذمّيّاً يؤدّى الخراج .

حدّثنى محمّد بن سعد عن الواقدى ، عن ابن أبى سَبْرَة ، عن عبد الملك بن نَوْفَل ، عن محمّد بن إبراهيم بن الحارث ، أنّ عثمان أمر أن

---

(١) عم : عليه السلام .

لا يقبل من بنى تغلب فى الجزية إلاّ الذهب والفضّة ، فجاءه الثبت أنّ عمر أخذ منهم ضعف الصدقة فرجع عن ذلك . قال الواقدى ، وقال سفيان الثّوْرى ، والأوزاعى ، ومالك بن أنس ، وابن أبى ذئب ، وأبو حنيفة ، وأبو يوسف ، يؤخذ من التغلبى ضعف ما يؤخذ من المسلم فى أرضه وماشيته وماله ، فأمّا الصبىّ والمعتوه منهم ، فأن أهل العراق يرون أن يؤخذ ضعف الصدقة من أرضه ، ولا ياخذون من ماشيته شيئاً ، قال أهل الحجاز : يؤخذ ذلك من ماشيته وأرضه ، وقالوا جميعاً أنّ سبيل ما يؤخذ من أموال بنى تغلب سبيل مال الخراج ، لأنه بدل من الجزية .

الثغور الجزرية

قالوا : لمّا إستخلف عثمان بن عفّان « * » كتب إلى معاوية بولايته الشام ، وولّى عُمَير بن سعد الأنصارى الجزيرة ، ثمّ عزله وجمع لمعاوية الشام ،والجزيرة وثغورهما ، وامره ان يغزو شِمْشاط وهى أرمينية الرابعة أو يُغزيها ، فوجّه إليها حَبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى ، وصَفْوان بن مُعَطّل السُّلَمى ، ففتحاها بعد أيّام من نزولهما عليها على مثل صلح الرُّها . وأقام صَفْوان بها ، وبها توفّى فى آخر خلافة معاوية ، ويقال : بل غزاها معاوية نفسه ، وهذان معه فولاّها صَفْوان ، فأوطنها وتوفّى بها ، قالوا : وقد كان قُسْطَنْطِين الطاغية اتاخ عليها بعد نزوله فى مَلَطِيّة فى سنة

١٣٣ فلم يمكنه فيها شيء ، فاغار على ما حولها ثمّ انصرف ، ولم تزل شِمْشاط خراجيّة حتّى صيّرها المتوكل على الله « رحمه » ، عشريّة اسوة غيرها من الثغور .

وقالوا : غزا حَبيب بن مَسْلَمَة حصن كَمْخ ، بعد فتح شِمْشاط فلم يقدر عليه ، وغزاه صَفْوان فلم يمكنه فتحه ، ثمّ غزاه في سنة ٥٩ وهي السنة التي مات فيها ومعه عُمَير بن الحُبَاب السُّلَمي فعلا عُمَير سوره ، ولم يزل يجالد عليه وحده حتّى كشف الروم ، وصعد المسلمون ، ففتحه لعُمَيْر بن الحُبَاب ، وبذلك كان يفخر ويُفْخَر له . ثمّ أن الروم غلبوا عليه ففتحه مَسْلَمَة بن عبد الملك ، ولم يزل يفتح وتغلب الروم عليه ، فلمّا كانت سنة ١٤٩ ، شخص المنصور على بغداد حتّى نزل حَدِيثة المَوْصِل ، ثمّ أغزى منها الحسن بن قَحْطَبَة ، وبعده محمّد بن الأشعث ، وجعل عليهما العبّاس بن محمّد ، وأمره أن يغزو بهم كَمْخ ، فمات محمّد بن الاشعث بآمِد ، وسار العبّاس والحسن حتّى صارا إلى مَلَطِيَّة فحملا منها الميرة ، ثمّ اناخا على كَمْخ ، وأمر العبّاس بنصب المنجنيق عليه ، فجعلوا على حصنهم خشب العرعر لئلاّ يضرّ به حجارة المنجنيق ، ورموا المسلمين فقتلوا منهم بالحجارة مائتي رجل فاتّخذ المسلمون الدبابات ، وقاتلوا قتالا شديداً حتّى فتحوه ، وكان مع العبّاس بن محمّد ابن علي في غزاته هذه مَطَر الورّاق ، ثمّ إنّ الروم اغلقوا كَمْخ ، فلمّا كانت سنة ١٧٧ غزا محمّد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عَمْرَة

الأنصارى ، وهو عامل عبد الملك ابن صالح على شِمْشاط ، ففتحه ودخله لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، فلم يزل مفتوحاً حتّى كان هيج محمّد بن الرشيد فهرب اهله ، وغلبت عليه الروم ، ويقال : انّ عبيد الله بن الأقطع دفعه إليهم ، وتخلّص ابنه وكان اسيراً عندهم ، ثمّ انّ عبد الله بن طاهر فتحه فى خلافة المامون ، فكان فى أيدى المسلمين حتّى لطف قوم من نصارى شِمْشاط وقَالِيقَلاَ وبِقْراط بن أشُوط بطريق خِلاط فى دفعه إلى الروم والتقرّب إليهم بذلك بسبب ضياع لهم فى عمل شِمْشاط .

ملطية

وقالوا : وجّه عِياض بن غَنْم ، حَبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى ، من شِمْشاط إلى مَلَطِيّة ففتحها ، ثمّ أغلقت . فلمّا ولى معاوية الشام والجزيرة وجّه إليها حَبيب بن مَسْلَمَة ، ففتحها عنوة ورتّب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها وقدمها معاوية وهو يريد دخول الروم ، فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما فكانت طريق الصوائف . ثمّ انّ أهلها انتقلوا عنها فى أيّام عبد الله بن الزبير ، وخرجت الروم فشعّثتها[1] ثمّ تركتها فنزلها قوم من النصارى من الارمن والنبط .

وحدّثنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى فى إسناده قال : كان

---

(١) شعّث الشيء : فرّقه .

المسلمون نزلوا طرندة بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ وبنوا بها مساكن وهى من مَلَطِيَّة على ثلاث مراحل واغلة فى بلاد الروم ، ومَلَطِيَّة يومئذ خراب ليس بها الاّ ناس من أهل الذمّة من الأرمن وغيرهم ، فكانت تأتيهم طالعة من جند الجزيرة فى الصيف ، فيقيمون بها إلى أن ينزل الشتاء ، وتسقط الثلوج ، فإذا كان ذلك قفلوا ، فلمّا ولى عمر بن عبد العزيز «رضه» رحّل أهل طرندة عنها وهم كارهون ، وذلك لاشفاقه عليهم من العدوّ ، واحتملوا فلم يدعوا لهم شيئاً حتّى كسروا خوابى الخلّ والزيت ، ثمّ أنزلهم مَلَطِيَّة ، واخرب طرندة ، وولّى على مَلَطِيَّة جَعْوَنَة بن الحارث أحد بنى عامر بن صَعْصَعَة . قالوا : وخرج عشرون الفاً من الروم فى سنة ١٢٣ ، فنزلوا على مَلَطِيَّة فاغلق أهلها أبوابها وظهر النساء على السور عليهنّ العمائم فقاتلن ، وخرج رسول لاهل مَلَطِيَّة مستغيثاً ، فركب البريد وسار حتّى لحق بهشام بن عبد الملك وهو بالرُّصافة ، فندب هشام الناس إلى مَلَطِيَّة ، ثمّ أتاه الخبر بأنّ الروم قد رحلت عنها ، فدعا ، فدعا الرسول فأخبره ، وبعث معه خيلاً ليرابط بها ، وغزا هشام نفسه ثمّ نزل مَلَطِيَّة وعسكر عليها حتّى بُنيت ، فكان ممرُّه بالرَّقّة دخلها متقلّداً سيفاً ، ولم يتقلّده قبل ذلك فى أيّامه .

قال الواقدى : لمّا كانت سنة ١٣٣ اقبل قُسْطَنْطِين الطاغية عامداً لمَلَطِيَّة ، وكَمْخ يومئذ فى أيدى المسلمين وعليها رجل من بنى سُلَيم ، فبعث أهل كَمْخ الصريخ إلى أهل مَلَطِيَّة ، فخرج إلى الروم منهم ثمانى

مائة فارس ، فواقعهم خيل الروم فهزمتهم ، ومال الرومى فأناخ على مَلَطِيَّة فحصر من فيها والجزيرة يومئذ مفتونة ، وعاملها موسى بن كعب بحَرَّان فوجّهوا رسولا لهم إليه ، فلم يمكنه إغاثتهم ، وبلغ ذلك قُسْطَنْطِين ، فقال لهم : يا أهل مَلَطِيَّة ، انّى لم آتكم إلاّ على علم بأمركم ، وتشاغل سلطانكم عنكم ، انزلوا على الأمان واخلوا المدينة اخربها ، وامضى عنكم ، فأبوا عليه ، فوضع عليها المجانيق ، فلمّا جهدهم البلاء ، واشتدّ عليهم الحصار ، سألوه أن يوثق لهم ففعل ، ثمّ استعدُّوا للرحلة ، وحملوا ما استدقّ لهم والقوا كثيراً ممّا ثقل عليهم فى الآبار والمخابى ، ثمّ خرجوا ، وأقام لهم الروم صفّين من باب المدينة إلى منقطَع اخرهم مخترطى السيوف طرف سيف كلّ واحد منهم مع طرف سيف الذى يقابله حتّى كأنّها عقد قنطرة ، ثمّ شيّعوهم حتّى بلغوا مأمنَهم وتوجّهوا نحو الجزيرة فتفرّقوا فيها ، وهدم الروم مَلَطِيَّة ، فلم يبقوا منها الاّ هُرْياً فإنّهم شحّثوا منه شيئاً يسيراً ، وهدموا حصن قَلُوذِيَة .

فلمّا كانت سنة ١٣٩ ، كتب المنصور إلى صالح بن على يأمره ببناء مَلَطِيَّة وتحصينها ، ثمّ رأى أن يوّجه عبد الوهّاب بن إبراهيم الامام والياً على الجزيرة وثغورها فتوجّه فى سنة ١٤٠ ومعه الحسن بن قَحْطَبَة فى جنود أهل خراسان ، فقطع البعوث على أهل الشام والجزيرة ، فتوافى معه سبعون ألفاً ، فعسكر على مَلَطِيَّة ، وقد جمع الفَعلة من كلّ بلد ، فأخذ فى بنائها وكان الحسن بن قَحْطَبَة ، ربّما حمل الحجر حتّى يناوله البنّاء ، وجعل يغدّى الناس ويعشيهم من ماله مُبْرِزاً مطابخَهُ ، فعاظ ذلك

عبد الوهـاب فكتب إلى أبى جعفر يعلمـه أنّه يطعم الناس ، وأنّ الحسن يطعم أضعاف ذلك إلتماساً لأن يَطُوله ويُفسد ما يصنع ويُهجِنه بالاسراف والرياء ، وأنّ له مناديـن ينادون الناس إلى طعـامـه ، فكتب اليـه أبو جعفر ، ياصبيّ يُطعم الحسن من ماله ، وتُطعم من مالى ما أُتيتَ الاّ من صِغر خطرك وقِلّة همّتك ، وسـفه رأيك ، وكـتب إلى الحسين ان اطعم ولا تتّخذ منادياً ، فكان الحسن يقول من سبق إلى شرفة فله كذا ، فجدّ النّاسُ فى العمل حتّى فرغوا من بناء مَلَطِيّة ومسـجدها فى ستة أشـهر ، وبُنى للجند الّذين أسكنوها لكلّ عرافة بيتان سـفليّان ، وعُلّيّتان فوقهما ، واصطبل (والعرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلاً) ، وبنى لها مسلحة على ثلاثين ميلاً منها ، ومسلحة على نهر يدعى قُباقب ، يدفع فى الفُرات واسكن المنصـور مَلَطِيّة أربعة آلف مـقـاتل من أهل الجزيرة ، لانّهـا من ثغـورهم على زيادة عـشرة دنانير قـى عطاء كلّ رجـل ، ومعـونة مائة دينـار سوى الجعل الّذى يتجـاعله القبائل بينها ، ووضع فيهـا شحنتها مـن السلاح ، وأقطع الجند المزارع وبنى حصن قَلُوذِيَة ، وأقبل قُسْطَنْطِين الطّاغية فـى أكثـر من مائة آلف فنزل جَيْحان فبلغه كثـرة العرب فأحجم عنها .

وسمعتُ من يـذكر أنّه كان مع عبد الوهّاب فى هذه الـغزاة نصر بن مالك الخُزاعى ، ونصر بن سَعْد الكاتب مولى الأنصار فقال الشاعر :

تَكَنَّفَكَ النَّصرَانِ نَصْرُ بْنُ مَالِكٍ وَنَصْرُ بْنُ سَعْدٍ عَزَّ نَصْرُكَ مِنْ نَصْرِ

وفى سنة ١٤١ أُغْزِىَ محمدٌ بن إبراهيم مَلَطِيَّة فى جند من أهل خراسان ، وعلى شرطته المُسَيَّب بن زُهَير ، فرابط بها لئلاَّ يطمع فيها العدوّ فتراجع إليها من كان باقياً من أهلها ، وكانت الروم عرضت لَمَلَطِيَّة فى خلافة الرشيد فلم تقدر عليها وغزاهم الرشيد «رحمه» ، فأشجاهم وقمعهم . وقالوا : وجَّه أبو عبيدة ابن الجرَّاح ، وهو بِمَنْبِج خالد بن الوليد إلى ناحية مَرْعَش ففتح حصنها على أن جلا أهله ثمَّ اخربه وكان سفيان بن عَوْف الغامدى لمَّا غزا الروم فى سنة ٣٠ ، رحل من قبل مَرْعَش فساح فى بلاد الروم وكان معاوية بنى مدينة مرعش ، واسكنها جندا ، فلما كان موت يزيد بن معاوية كثرت غارات الروم عليهم فانتقلوا عنها ، وصالح عبد الملك الروم بعد موت ابيه مروان بن الحكم وطلبه للخلافة على شىء كان يؤدّيه اليهم ، فلمَّا كانت سنة ٧٤ غزا محمدٌ بن مروان الروم وانتقض الصلح ، ولمَّا كانت سنة ٧٥ غزا الصائفة أيضاً محمد بن مروان وخرجت الروم فى جمادى الأولى من قبل مَرْعَش إلى الأعماق فزحف اليهم المسلمون وعليهم أبان بن الوليد بن عُقْبَة بن أبى مُعَيط ومعه دينار بن دينار مولى عبد الملك بن مروان ، وكان على قِنَّسْرِين وكورها فالتقوا بعمق مَرْعَش فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهُزِمت الروم وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وكان دينار لقى فى هذا العام جماعة من الروم بجسر يَخْرا ، وهو من شِمْشاط على نحو من عشرة أميال ، فظفر بهم ، ثمَّ أنَّ العبَّاس بن الوليد بن عبد الملك صار إلى

مَرْعَش فعمّرها وحصّنها ، ونقل الناس إليها وبنى لها مسجداً جامعاً ، وكان يقطع في كلّ عام على أهل قِنّسْرِين بعثاً إليها .

فلمّا كانت أيام مروان بن محمّد وشغل بمحاربة أهل حِمْص خرجت الروم وحصرت مدينة مَرْعَش حتّى صالحهم أهلها على الجلاء ، فخرجوا نحو الجزيرة وجند قِنّسْرِين بعيالاتهم ، ثمّ اخربوها ، وكان عامل مروان عليها يومئذ الكَوْثَر بن زُفَر بن الحرث الكلابى ، وكان الطاغية يومئذ قُسْطَنْطِين بن اليون ، ثمّ لمّا فرغ مروان من امر حِمْص وهدم سورها بعث جيْشاً لبناء مَرْعَش فبنيت ومُدّنت فخرجت الروم فى فتنته فاخربتها ، فبناها صالح بن عليّ فى خلافة أبى جعفر المنصور وحصّنها وندب الناس اليها على زيادة العطا ، واستخلف المهدى فزاد فى شحنتها وقوّى أهلها .

حدّثنى محمّد بن سعد عن الواقدى ، قال خرج ميخائيل من درب الحَدَث فى ثمانين ألفاً فأتى عمق مَرْعَش فقتل وأحرق وسبى من المسلمين خلقاً ، وصار إلى باب مدينة مَرْعَش وبها عيسى بن عليّ ، وكان قد غزا فى تلك السنة فخرج إليه موالى عيسى ، واهل المدينة ومقاتلتهم ، فرشقوه بالنبل والسهام فاستطرد لهم حتّى إذا نحاهم عن المدينة كرّ عليهم فقتل من موالى عيسى ثمانية نفر ، واعتصم الباقون بالمدينة فأغلقوها فحاصرهم بها ، ثمّ انصرف حتّى نزل جَيْحان وبلغ الخبر ثُمامَة بن الوليد العَبْسى وهو بدابِق ، وكان قد ولى الصائفة سنة ١٦١ فوجّه إليه خيلاً

كثيفة فأصيبوا الاّ من نجا منهم فاحفظ ذلك المهدى واحتفل لاغزاء الحسن بن قَحْطَبَة فى العام المقبل وهو سنة ١٦٢ .

قالوا : وكان حصن الحَدَث ممّا فتح أيّام عمر فتحه حَبيب بن مَسْلَمَة من قبل عِياض بن غَنْم ، وكان معاوية يتعهّده بعد ذلك وكان بنو أميّة يسمّون درب الحَدَث السلامة للطيرة ، لانّ المسلمين كانوا أُصيبوا به ، فكان ذلك الحدث فيما يقول بعض الناس ، وقال قوم لقى المسلمين غلام حدث على الدرب فقاتلهم فى أصحابه فقيل درب الحدث ، ولمّا كان زمن فتنة مروان بن محمّد ، خرجت الروم فهدمت مدينة الحَدَث وأجلت عنها أهلها ، كما فعلت بمَلَطية ، ثمّ لمّا كانت سنة ١٦١ خرج ميخائيل إلى عمق مَرْعَش ووجّه المهدى الحسن بن قَحْطَبَة ساح فى بلاد الروم فثقلت وطأته على اهلها ،حتّى صوّروه فى كنائسهم ، وكان دخوله من درب الحدث ، فنظر إلى موضع مدينتها فأخبر أنّ ميخائيل خرج منه فارتاد الحسن موضع مدينته هناك ، فلمّا انصرف كلّم المهدى فى بنائها وبناء طَرْسوس فأمر بتقديم بناء الحدث وكان فى غزاة الحسن هذه مَنْدَل العَنَزى المحدّث الكوفى ومُعْتَمِر بن سليمان البصرى فانشأها عليّ بن سليمان بن عليّ ، وهو على الجزيرة وقِنّسْرِين وسمّيت المحمّديّة وتوفّى المهدى مع فراغهم من بنائها فهى المهديّة والمحمّديّة ، وكان بناؤها باللبن وكانت وفاته سنة ١٦٩ ، واستخلف موسى الهادى ابنه ، فعزل عليّ بن سليمان وولّى الجزيرة وقِنّسْرِين محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن عليّ وقد كان

علي بن سليمان فرغ من بناء مدينة الحدث ، وفرض لها فرضاً من أهل الشام والجزيرة وخراسان في أربعين ديناراً من العطاء ، وأقطعهم المساكن وأعطى كلّ امرىء ثلثمائة درهم ، وكان الفراغ منها في سنة ١٦٩ ، وقال أبو الخطّاب فرض عليّ بن سليمان بمدينة الحدث ، لاربعة الف فاسكنهم إيّاها ، ونقل إليها من مَلَطِيَّة ، وشِمْشاط وسُمَيساط وكَيْسُوم ودلُوك ورَعْبان ، ألفي رجل .

قال الواقدي ولمّا بنيت مدينة الحدث هجم الشتاء والثلوج وكثرت الامطار ولم يكن بناؤها بمستوثق منه ولا محتاط فيه فتثلّمت المدينة وتشعّثت ونزل بها الروم فتفرّق عنها من كان فيها من جندها وغيرهم ، وبلغ الخبر موسى فقطع بعثاً مع المُسَيّب بن زُهَير ، وبعثاً مع رَوْح بن حاتم ، وبعثاً مع حمزة بن مالك ، فمات قبل أن ينفذوا . ثم ولي الرشيد الخلافة فأمر ببنائها وتحصينها وشحنتهما واقطاع مقاتلتها المساكن والقطائع .

وقال غير الواقدي اناخ بطريق من عظماء بطارقة الروم في جمع كثيف على مدينة الحدث حين بنيت . وكان بناؤها بلبن قد حُمل بعضها على بعض واضرّب به الثلوج وهرب عاملها ومن فيها ودخلها العدوّ فحرّق مسجدها وأخربها واحتمل أمتعة اهلها ، فبناها الرشيد حين استخلف .

وحدّثني بعض أهل مَنْبِج قال ، أنّ الرشيد كتب إلى محمّد بن

إبراهيم بإقراره على عمله فجرى أمر مدينة الحدث وعمارتها من قِبَل الرشيد على يده ثمّ عزله ، قالوا : وكان مالك بن عبد الله الخَثْعَمى الذى يقال له مالك الصوائف وهو من أهل فِلَسْطين غزا بلاد الروم سنة ٤٦ وغنم غنائم كثيرة ثمّ قفل ، فلمّا كان من درب الحدث على خمسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرَّهْوة ، اقام فيها ثلاثاً فباع الغَنَائم وقسم سهام الغنيمة ، فسمّيت تلك الرهوة رَهْوَة مالك . قالوا : وكان مرج عبد الواحد حمى لخيل المسلمين فلمّا بنى الحدث وزِبَطْرَة استغنى عنه فازدرع[1] ، قالوا : وكانت زِبَطْرَة حصناً قديماً رومياً ففتح مع حصن الحدث القديم ، فتحه حَبِيب بن مَسْلَمة الفِهْرى وكان قائماً إلى أن اخربته الروم فى أيام الوليد بن يزيد فبنى بناء غير مُحْكم ، فأتاخت الروم عليه فى أيّام فتنة مروان بن محمّد فهدمته فبناه المنصور ثمّ خرجت إليه فشعّثته ، فبناه الرشيد على يدىّ محمّد بن إبراهيم وشحنه ، فلمّا كانت خلافة المأمون طرقه الروم فشعّثوه ، واغاروا على سرح اهله فاستاقوا لهم مواشى فأمر المأمون بمرمّته وتحصينه . وقدم وفد طاغية الروم فى سنة ٢١٠ يسأل للصلح فلم يجبه إليه ، وكتب إلى عمّال الثغور فساحوا فى بلاد الروم فأكثروا فيها القتل ودوّخوها ، وظفروا ظفراً حسناً الاّ انّ يَقْظان بن عبد الأعلى بن أحمد بن يزيد بن أسيد السُّلَمى أصيب ، ثمّ خرجت الروم إلى زِبَطْرَة فى خلافة المتعصم بالله أبى إسحق بن الرشيد فقتلوا

---

(١) ازدرع : طرح الزرعة أى البذر فى الأرض .

الرجال وسبوا النساء وأخربوها فاحفظه ذلك وأغضبه فغزاهم حتّى بلغ عَمّوريّة ، وقد أخرب قبلها حصوناً فأناخ عليها ، حتّى فتحها فقتل المقاتلة وسبى النساء والذرّيّة ثمّ أخربها وأمر ببناء زَبَطْرَة وحصّنها وشحنها فرامها الروم بعد ذلك فلم يقدروا عليها .

وحدّثنى أبو عمرو الباهلى وغيره قالوا : نُسب حصن منصور إلى منصور بن جَعْوَنَة بن الحارث العامرى من قيس وذلك أنّه تولّى بناءه ومرمّته ، وكان مقيماً به أيّام مروان ، ليردّ العدوّ ومعه جند كثيف من أهل الشام والجزيرة ، وكان منصور هذا على أهل الرُّها حين امتنعوا فى أوّل الدولة فحصرهم المنصور ، وهو عامل أبى العبّاس على الجزيرة وأرمينية فلمّا فتحها هرب منصور ، ثمّ أُومِن فظهر فلمّا خلع عبد الله بن عليّ أبا جعفر المنصور ولاّه شرطته ، فلمّا هرب عبد الله إلى البصرة استخفى فدلّ عليه فى سنة ١٤١ فأتى المنصور به فقتله بالرَّقّة منصرفَه من بيت المقدّس ، وقوم يقولون أنّه أُومِن بعد هرب ابن عليّ فظهر ثم وجدت له كتب إلى الروم بغشّ الاسلام ، فلمّا قدم المنصور الرَّقّة من بيت المقدس سنة ١٤١ وجّه من أتاه به فضرب عنقه بالرَّقّة ، ثم انصرف إلى الهاشميّة بالكوفة .

وكان الرشيد بنى حصن منصور وشحنه فى خلافه المهدى .

نقل ديوان الرومية

قالوا ولم يزل ديوان الشام بالروميّة حتّى ولى عبد الملك بن مروان فلمّا كانت سنة ٨١ أمر بنقله ، وذلك أنّ رجلاً من كتّاب الروم احتاج ان يكتب شيئاً فلم يجد ماءً فبال فى الدواة ، فبلغ ذلك عبد الملك فأدّبه وأمر سليمان بن سعد بنقل الديوان ، فسأله أن يعينه بخراج الأُرْدُنّ سنة ففعل ذلك وولاّه الأُرْدُنّ فلم تنقض السنة حتّى فرغ من نقله وأتى به عبد الملك فدعا بسَرْجون كاتبه فعرّض ذلك عليه فغمّه ، وخرج من عنده كئيباً ، فلقيه قوم من كتّاب الروم ، فقال اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة ، فقد قطعها الله عنكم ، قال ، وكانت وظيفة الأُرْدُنّ الّتى قطعها معونة مائة ألف وثمانين ألف دينار ، ووظيفة فِلَسْطِين ثلاثمائة الف ، وخمسين الف دينار ، ووظيفة دمشق أربعمائة ألف دينار ، ووظيفة حِمْص مع قِنّسْرين والكور التى تدعى اليوم العَوَاصِم ، ثمانى مائة ألف دينار ، ويقال سبع مائة ألف دينار .

فتوح أرْمِينِيَة

حدّثنى محمّد بن اسماعيل من ساكنى بَرْذَعَة وغيره عن أبى بَرَاء عَنْبَسَة ابن بَحْر الارمنى .

وحدّثنى محمّد بن بِشْر القالى عن أشياخه وبَرْمَك بن عبد الله الدَّيلى ، ومحمّد بن المُخَيِّس الخِلاطى وغيرهم عن قوم من أهل العلم

بأمور أرمينية سمعتُ حديثهم ، ورددتُ من بعضه على بعض قالوا : كانت شمشاط وقاليقلا وخلاط وأرجيش وباجنيس تدعى أرمينية الرابعة، وكانت كورة البسفرجان ودبيل ،وسراج طير ، وبغروند ، تدعى أرمينية الثالثة ، وكانت جرزان ، تدعى أرمينية الثانية ، وكانت السيسجان وأران تدعى أرمينية الأولى ، ويقال كانت شمشاط وحدها أرمينية الرابعة ، وكانت قاليقلا وخلاط وأرجيش وباجنيس تدعى ارمينية الثالثة ، وسراج طير وبغروند ودبيل والبسفرجان تدعى أرمينية ، وسيسجان وأران وتفليس تدعى أرمينية الأولى ، وكانت جرزان وأران فى أيدى الخزر ، وسائر أرمينية فى أيدى الروم يتولاها صاحب أرمنياقس، وكانت الخزر ، تخرج فتغير وربما بلغت الدينور فوجّه قباذ بن فيروز الملك قائداً من عظماء قواده فى اثنى عشر الفاً ، فوطىء بلاد أران وفتح ما بين النهر الذى يعرف بالرس إلى شروان ، ثم ان قباذ لحق به فبنى بأران مدينة البيلقان ، ومدينة برذعة وهى مدينة الثغر كلّه ، ومدينة قبلة، وهى الخزر، ثم بنى سدّ اللبن فيما بين أرض شروان ، وباب اللان ، وبنى على سدّ اللبن ثلاثمائة وستين مدينة ، خربت بعد بناء الباب والأبواب ، ثم انّه ملك بعد قباذ ابنه أنوشروان كسرى ابن قباذ فبنى مدينة الشابران ومدينة مسقط، ثم بنى مدينة الباب والابواب وإنّما سمّيت ابواباً لانّها بنيت على طريق فى الجبل ، وأسكن ما بنى من هذه المواضع قوماً سمّاهم السياسيجين ، وبنى بأرض أران ابواب شكّن والقميران وأبواب الدّودانيّة

، وهم أمـــه يزعـمـــون أنّهم من بنى دُودَان بـن أسَد بن خُزَيْمَة وبنى الدُّرْدُوقيَّة ، وهى اثنا عـشر باباً كلّ باب منهـا قصر من حجارة ، وبنى بأرض جُرْزان مدينة يقال لها سُغْدَبِيل وانزلها قوماً من السُّغْد وابناء فارس وجعلهـا مَسلحة ، وبنى تمّايلى الروم فى بلاد جُرْزان قصراً يقال له باب فِيرُوزقُبَاذ وقصراً يقال له باب لاذِقَة ، وقصراً يقال له بـاب بـارقة ، وهو على بحـر طَرَابَزُنْدَة ، وبنى باب اللاّن وباب سَمْسَخى ، وبنـى قلعـة الجَرْدَمان وقلعـة شَمْشلْدَى ، وفتح أنُوشِرْوان جميع مـا كان فى أيدى الروم من أرمينيـة وعمر مـدينة دِبِيل وحصّنها وبـنى مدينة النَّشَوَى وهى مدينة كـورة البُسْفُرّجان وبنى حصن وَبْص ، وقلاعـاً بارض السِّيسَجَان ، منهـا قلعة الكِلاب ، وسـاهيونس، وأسكن هذه الحـصون والـقلاع ذوى البأس والنـجدة من سِيَاسِيجِيَّة ، ثمّ انّ أنُوشِرْوان كـتب إلى ملك التُّرْك يسأله الموادعـة والصلح ، وأن يكون أمرهمـا واحداً ، وخطب إليـه ابنته ليؤنسه بذلك ، واظهـر له الرغبة فى صهره ، وبعث إليـه بأمة كانت له تبنّتها امرأة من نسائه، وذكر أنّها ابنته اليه ثمّ قدم عليه فالتقيا بالبَرْشَلِيَة، وتنادما أيّاماً ، وأنس كلّ واحد منهما بصاحبه واظهر برّه وامر أنُوشِرْوان جماعة من خاصّته وثقاته ، ان يُبَيِّتوا طرفاً من عسكر التُّرْكى ويحرقوا فيه ففعلوا ، فلمّا اصبح شكا ذلك إلى أنُوشِرْوان ، فأنكر أن يكون أمر به ، أو علم أن أحداً من أصحابه فـعله ، ولمّا مضت لذلك ليال ، أمر اولئك القوم ، بمعـاودة مثل الذى كان منهم فـفعلوا ، فضجّ التُّرْكى من فعلهم حتّى رفق بـه أنُوشِرْوان ، واعتذر اليـه فـكن ، ثـمّ إنّ أنُوشِرْوان ، أمر

فألقيت النار في ناحية من عسكره لم يكن بها الاّ اكواخ قد اتُّخذت من حشيش وعيدان ، فلما أصبح ضجّ أنُوشِرْوان إلى التُّرْكي وقال كاد أصحابك يذهبون بعسكري ، وقد كافأتني بالظنّة فحلف أنّه لم يعلم لشيء مما كان سبباً ، فقال أنُوشِرْوان : يا أخي جندنا وجندك قد كرهوا صحلنا لانقطاع ما انقطع عنهم من النيل في الغارات والحروب الّتي كانت تكون بيننا ولا آمن أن يحدثوا أحداثاً يفسد قلوبنا بعد تصافينا وتخالصنا ، حتّى نعود إلى العداوة بعد الصهر والمودّة ، والرأي أن تأذن لي في بناء حائط يكون بيني وبينك ، ونجعل عليه باباً فلا يدخل إليك من عندنا وإلينا من عندك الاّ من أردتَ وأردنا ، فسأجابه إلى ذلك فانصرف إلى بلاده وأقام أنُوشِرْوان لبناء الحائط ، فبناه وجعله من قبل البحر بالصخر والرصاص وجعل عرضه ثلاثمائة ذراع والحقه برؤوس الجبال، وأمر أن تحمل الحجارة في السفن ، وتغْريقها في البحر حتّى إذا ظهرت على وجه الماء بنى عليها فقاد الحائط في البحر ثلاثة أميال ، فلمّا فرغ من بنائه علّق على المدخل منه أبواب حديد ، ووكّل به مائة فارس يحرسونه بعد أن كان موضعه يحتاج إلى خمسين ألفاً من الجند ، وجعل عليه دبّابة فقيل لخاقان بعد ذلك، انّه خدعك وزوّجك غير ابنته، وتحصّن منك فلم يقدر على حيلة .

وملّك أنُوشِرْوان ملوكاً رتّبهم ، وجعلَ لكلّ امرىءٍ منهم شاهيّة ناحية فمنهم خاقان الجبل وهو صاحب السّرير ، ويدعى وهرارزانشاه

ومنهم ملك فِيلان ، وهو فيلاَن شاه ، ومنهم طَبَرْسَرانشاه ، وملك الكُزّ ويدعى جرشانشاه ، وملك مَسْقَط وقد بطلت مملكته ، وملك ليران ويدعى لِيرانْشاه ، وملك شَرْوان ويدعى شَرْوَانْشاه ، وملك صاحب بُخّ على بُخّ ، وصاحب زِرِيكران عليها ، وأقرّ ملوك جبل القَبَق على ممالكهم وصالحهم على الاتاوة ، فلم تزل أرمينية فى أيدى الفُرْس حتّى ظهر الإسلام ، فرفض كثير من السِيَاسِيجِين حصونهم ومدائنهم حتّى خربت ، وغلب الخَزَر والروم على ما كان فى أيديهم بدياً[1] .

قالوا : وقد كانت أمور الروم تستتب فى بعض الأزمنة وصاروا كملوك الطوائف فملك أَرْمَنِيَاقُس رجل منهم ، ثمّ مات فملكتها بعده امرأته ، وكانت تسمّى قالى فبنت مدينة قالِيقَلا ، وسمّتها قالِيقَاله ومعنى ذلك احسان قالِى ، قال : وصُوِّرت على باب من ابوابها فاعربت العرب قالِيقَاله فقالوا قالِيقَلاَ .

قالوا . ولمّا استخلف عثمان بن عفّان ، كتب إلى معاوية وهو عامله على الشام والجزيرة وثغورهما ، يأمره أن يوجّه حَبِيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى إلى أرمينية وكان حَبِيب ذا أثر جميل فى فتوح الشام وغزو الروم قد علم ذلك منه عمر ثمّ عثمان «رضيهما» ثمّ مَنْ بعده ، ويقال بل كتب عثمان إلى حَبِيب يأمره بغزو أرمينية وذلك أثبت ، فنهض إليها فى ستّة الف ، ويقال فى ثمانية الف من أهل الشام والجزيرة ، فأتى قالِيقَلا فأتاح عليها ،

---

(١) بدياً : واصلها بدأ ، أى فى بادىء الأمر .

وخرج إليه أهلها فقاتلهم ثمَّ ألجأهم إلى المدينة ، فطلبوا الأمان على الجلاء والجزية فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم . وأقام حَبيب بها فيمن معه أشهراً ، ثمَّ بلغه أنَّ بطريق أرْمَنِيَاقُس ، قد جمع للمسلمين جمعاً عظيماً وانضمَّت اليه أمداد أهل اللاَّن ، وأفخار وسَمَنْدَر من الخَزَر ، فكتب إلى عثمان يسأله أن يُشخص إليه من أهل الشام والجزيرة قوماً ممَّن يرغب في الجهاد والغنيمة ، فبعث إليه معاوية ألفي رجل اسكنهم قالِيقَلا واقطعهم بها القطائع وجعلهم مرابطة بها . ولمَّا ورد على عثمان كتاب حَبيب ، كتب إلى سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أميَّة ، وهو عامله على الكوفة يأمره بامداده بجيش عليه سَلْمان بن ربيعة الباهلي ، وهو سَلْمان الخير ، وكان خَيِّراً فاضلاً غزَّاءَ ، فسار سلْمان الخيل إليه في ستَّة الف رجل من أهل الكوفة وقد اقبلت الروم ومن معها فنزلوا على الفُرات ، وقد ابطأ على حبيب المدد فبيَّتهم المسلمون فاجتاحوهم وقتلوا عظيمهم ، وقالت أمُّ عبد الله بنت يزيد الكليَّة ، امرأة حَبيب ليلتئذ له أين موعدك قال: سرادق الطاغية أو الجنَّة فلمَّا انتهى إلى السرادق وجدها عنده .

قالوا : ثمَّ إنَّ سلْمان ورد وقد فرغ المسلمون من عدوِّهم، فطلب أهل الكوفة إليهم أن يشركوهم في الغنيمة، فلم يفعلوا حتَّى تغالظ حَبيب وسلْمان في القول وتوعَّد بعض المسلمين سلْمان بالقتل ، قال الشاعر :

إنْ تَقْتُلُوا سَلْمَانَ نَقْتُلْ حَبِيبَكُمْ وَإنْ تَرْحَلُوا نَحْوَ ابْنِ عَفَّانَ نَرْحَلُ

وكتب إلى عثمان بذلك ، فكتب أنّ الغنيمة باردة لأهل الشام وكتب إلى سلْمان يأمره بغزو أرّمان ، وقد روى بعضهم أنّ سلْمان بن ربيعة توجّه إلى أرمينية في خلافة عثمان فسبى وغنم وانصرف إلى الوليد بن عُقْبَة وهو بحَديثة المَوْصِل سنة ٣٥ ، فأتاه كتاب عثمان يعلمه أنّ معاوية كتب يذكر أنّ الروم قد اجلبوا على المسلمين بجموع عظيمة يسأل المدد ، ويأمره أن يبعث إليه ثمانية آلف رجل فوجّه بهم ، وعليهم سلْمان بن ربيعة الباهلي ، ووجّه معاوية حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى معه في مثل تلك العدّة فافتتحا حصوناً وأصابا سبياً وتنارعا الامارة ، وهَمّ أهل الشام بسَلْمان فقال الشاعر :

ان تقتلوا . . . (وهو البيت السابق)

والخبر الأوّل اثبت ، حدّثني به عدّة من مشايخ أهل قالِيقَلا وكتب إليّ به المطّاف بن سفيان أبو الأصبغ قاضيها .

وحدّثني محمّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، قال : حاصر حَبيب بن مَسْلَمَة اهل دَبِيل فأقام عليها فلقيه المَوْرِيَان الرومي ، فبيّته وقتله وغنم ما كان في عسكره ، ثمّ قدم سَلْمان عليه ، والثبت عندهم أنّه لقيه بقالِيقَلا .

وحدّثني محمّد بن بشر وابن وَزْر القالِيان عن مشايخ اهل قالِيقَلا ، قالوا ، لم تزل مدينة قاليقَلا منذ فتحت ممتنعة بمن فيها من أهلها حتّى خرج الطاغية في سنة ١٣٣ ، فحصر أهل مَلَطِيّة وهدم حائطها ، وأجلى

من بها من المسلمين إلى الجزيرة ، ثم نزل مرج الحصى ، فوجّه كوسان الأرمنى ، حتى أناخ على قالِيقَلا فحصرها ، وأهلها يومئذ قليل وعاملها أبو كَرِيمة ، فنقب أخوان من الأرمن من أهل مدينة قالِيقَلا ردماً كان فى سورها وخرجا إلى كوسان ، فأدخلاه المدينة ، فغلب عليها فقتل وسبى وهدمها ، وساق ما حوى إلى الطاغية ، وفرّق السبى على أصحابه .

وقال الواقدى لمّا كانت سنة ١٣٩ ، فادى[1] المنصور بمن كان حيًا من أسارى أهل قالِيقَلا ، وبنى قالِيقَلا وعمرها وردّ من فادى به إليها ، وندب إليها جنداً من أهل الجزيرة وغيرهم ، وقد كان طاغية الروم خرج إلى قالِيقلا فى خلافة المعتصم بالله فرمى سورها حتّى كاد يسقط فانفق المعتصم عليها خمس مائة ألف درهم حتّى حصّنت .

قالوا : ولمّا فتح حَبيب مدينة قالِيقَلا سار حتى نزل مرمالا فأتاه بطريق خِلاط بكتاب عِياض بن غَنْم وكان عياض قد أمنه على نفسه وماله وبلاده ، وقاطعه على إتاوة فأنفذه حَبيب له ، ثم نزل منزلاً بين الهَرَك ، ودشت الورك فأتاه بطريق خلاط بما عليه من المال ، وأهدى له هدية لم يقبلها منه ، ونزل خِلاط ، ثمّ سار منها إلى الصانه فلقيه بها صاحب مُكْس ، وهى ناحية من نواحى البُسْفُرْجَان فقاطعه على بلاده ووجّه معه رجلاً وكتب له كتاب صلح وأمان ، ووجّه إلى قرى أرْجنيش وبَاجَنّيس من غلب عليها وجبى جزى رؤوس أهلها ، وأتاه

(١) ادى : أوصل .

وجوهم فقاطعهم على خراجها، فأمّا بحيرة الطِّرِّيخ فلم يعرض لها، ولم تزل مباحة حتّى ولى محمد بن مروان بن الحكم الجزيرة وأرمينية فحوى صيدها وباعه فكان يستغلُّها ، ثمّ صارت لمروان بن محمّد فقبضت عنه .

قال ثمّ سار حَبيب وأتى أَرِدْسَاط ، وهى قرية القِرْمِز ، وأجار نهر الاكراد ونزل مرج دَبِيل فسرَّب الخيول إليها ، ثمّ زحف حتّى نزل على بابها فتحصّن أهلها ورموه ، فوضع عليها منجنيقاً ورماهم حتّى طلبوا الأمان والصلح ، فأعطاهم أيّاه وجالت خيوله فنزلت جُرْنى[1] وبلغت أشوش وذات اللُّجُم والجبل كوته ؟ ووادى الأحرار وغلبت على جميع قرى دَبيل ووجّه إلى سِراج طَير وبَغْرَوَنْد فأتاه بَطريقها ، فصالحه عنها على أتاوة يؤدّيها وعلى مناصحة المسلمين ، وقراهم ومعاونتهم على اعدائهم ، وكان كتاب صلح دَبيل :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من حبيب بن مَسْلَمَة ، لنصارى أهل دَبيل ومجوسها ويهودها ، شاهدها وغائبهم انّى أمّنتكم على انفسكم ، وأموالكم ، وكنائسكم ، وبيعكم ، وسور مدينتكم ، فأنتم آمنون ، وعلينا الوفاء لكم بالعهد ، ما وفيتهم وأدّيتم الجزية والخراج شهد الله ، وكفى به شهيداً . وختم[2] حبيب بن مَسْلَمَة .

ثم أتى حبيب النَّشْوَى ففتحها على مثل صلح دَبيل وقدم عليه بطريق

---

(١) وهى بلدة قرب دبيل .

(٢) أى وضع خاتمه .

البُسْفَرَّجَان فصالحه عن جميع بلاده وأرضى هصابلية ، وأفارستة ، على خرج يؤدّيه فى كل سنة ، ثمّ أتى السِيسَجَان فحاربهم أهلها، فهزمهم وغلب على وَلِصْ، وصالح أهل القلاع بالسِيسَجَان على خرج يؤدّونه ثمّ سار إلى جُرْزان .

حدّثنى مشايخ من أهل دَبيل منهم بَرْمَك بن عبد الله قالوا : سار حَبيب بن مَسْلَمَة بمن معه يريد جُرْزان ، فلمّا انتهوا إلى ذات اللُّجُم ، سرّحوا بعض دوابهم ، وجمعوا لُجُمها فخرج عليهم قوم من العلوج فاعجلوهم عن الالجام فقاتلوهم ، فكشفهم[1] العلوج ، واخذوا تلك اللُّجُم وما قدروا عليه من الدوابّ ، ثمّ أنّهم كرّوا عليهم ، فقتلوهم وارتجعوا ما أخذوا منهم فسمّى الموضع ذات اللُّجُم ، قالوا : وأتى حَبيباً رسول بطريق جُرْزان واهلها وهو يريدها ، فادّى إليه رسالتهم وسأله كتاب صلح وأمان لهم فكتب حبيب إليهم :

أما بعد فانّ نُقْلى رسولكم قدم علىّ ، وعلى الّذين معى من المؤمنين فذكر عنكم أنّا أمّة أكرمنا الله وفضّلنا وكذلك فعل الله ، وله الحمد كثيراً ، وصلّى الله على محمّد نبيّه ، وخيرته من خلقه وعليه السلام وذكرتم انّكم احببتم سِلمنا وقد قوّمت[2] هديتكم ، وحسبتُها من جزيتكم وكتبتُ لكم اماناً واشترطت فيه شرطاً ، فان قبلتموه

(١) كشف : بمعنى ظهر عليه .

(٢) اى قدرت قيمتها .

ووفيتم به وإلاّ فأذنوا بحرب من الله ورسوله والسلام على من اتّبع الهدى .

ثمّ ورد تَفْلِيس وكتب لاهلها صلحاً .

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من حبيب بن مَسْلَمَة لاهل تَفْلِيس من مَنْجَلِيس ، من جُرْزان القِرْمِز بالأمان على أنفسهم ، وبيعهم ، وصوامعهم وصلواتهم ، ودينهم ، على إقرار بالصغار والجزية على كلّ أهل بيت دينار ، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفاً للجزية ، ولا لنا أن نفرق بينهم استكثاراً منها ، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء الله ورسوله ﷺ ما استطعتم وقِرى المسلم المحتاج ليلة المعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا ، وإن إنقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أداؤه[1] إلى أدنى فئة من المؤمنين إلاّ أن يحال دونهم ، وان أنبتم وأقمتم الصلاة فاخواننا في الدين والاّ فالجزية عليكم ، وان عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوُّكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم ، هذا لكم وهذا عليكم شهد الله وملائكته وكفى بالله شهيداً .

وكتب الجرّاح بن عبد الله الحكَمي لاهل تفليس كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الجراح بن عبد الله لاهل تفليس من رستاق مَنْجَلِيس ، من كورة جُرْزان ، أنّه اتوني بكتاب أمان

---

(١) اداؤه : ايصاله .

لهم من حبيب بن مَسْلَمَة على الاقرار بصغار الجزية ، وانّه صالحهم على ارضين لهم وكروم وأرحاء يقال لها آوارى وسابينا من رستاق مَنْجَليس ، وعن طعام وديدونا من رستاق قُحُويط من كورة جُرْزان على ان يؤدّوا عن هذه الأرحاء ، والكروم فى كل سنة مائة درهم بلا ثانية ، فانفذت لهم امانهم وصلحهم ، وأمرت الايراد عليهم فمن قرىء عليه كتابى فلا يتعدّ ذلك فيهم ان شاء الله . وكتب .

قالوا وفتح حبيب، جوارح وكسفربيس وكِسَال ، وخُان وسَمْسَخِى ، والجَرْدَمان وكستسجى ، وشَوِشْت وبَاركيت صلحا على حقن دماء أهلها وإقرار مصلّياتهم وحيطانهم وعلى أن يؤدّوا أتاوة عن أرضهم ورؤوسهم . وصالح أهل قَلَرْجيت ، وأهل ثَرْيَاليت ، وخَاخيط ، وخوخيط وأَرْطَهَال وباب اللاّل وصالح الصَّنَارِيَّة والدُّودَانِيَّة على اتاوة .

قالوا : وسار سلمان بن ربيعة الباهلى حين أمره عثمان بالمسير إلى أرّان ، ففتح مدينة البَيْلَقَان صلحاً ، على أن أمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم ، واشترط عليهم اداء الجزية والخراج ، ثمّ أتى سلْمان بَرْذَعَة فعسكر على الثُّرْثُور وهو نهر منها على أقل من فرسخ ، فأغلق أهلها دونه أبوابهم ، فعاناها أيّاماً وشنّ الغارات فى قراها ، وكانت زروعها مستحصدة فصالحوه على مثل صلح البَيْلَقَان ، وفتحوا له أبوابها فدخلها وأقام بها ، ووجّه خيله ففتحت شفشين والمسفوان وأُوذ والمصريان والهرحليان ، وتبار وهى رساتيق وفتح غيرها من أرّان ودعا

اكراد البلاسجان ، إلى الاسلام ، فقاتلوه فظفر بهم ، فاقرّ بضعهم بالجزية ، وأدّى بعض الصدقة وهم قليل .

وحدّثني جماعة من أهل بَرْذَعَة ، قالوا كانت شَمْكور مدينة قديمة ، فوجّه سلْمان بن ربيعة الباهلي من فتحها ، فلم تزل مسكونة معمورة حتّى أخربها السّاوَرْدِيّة وهم قوم تجمعوا في أيّام انصرف يزيد بن أسَيد عن أرمينية ، فغلظ أمرهم وكثرت نوائبهم ، ثمّ أنّ بُغَا مولى المعتصم بالله (رحه) عمرها في سنة ٢٤٠ وهو والي أرمينية ، وأذَرْبَيْجَان وشِمْشَاط واسكنها قوما خرجوا إليه من الخَزَر مستأمنين لرغبتهم في الاسلام ، ونقل إليها التجار من بَرْذَعَة وسمّاها المتوكّليّة .

قالوا : وسار سلْمان إلى مجمع الرَّسّ والكُرّ خلف بَرْدِيج فعبر الكُرّ ففتح قَبَلَة وصالحه صاحب شَكّن والقَبِيرَان على اتاو ، وصالحه أهل خَيْزان وملك شَرْوان ، وسائر ملوك الجبال ، وأهل مَسْقَط والشابران ومدينة الباب ، ثمّ اغلقت بعده ، ولقيه خاقان في خيوله خلف نهر البَلَنْجَر فقتل « رحه » في أربعة آلف من المسلمين فكان يسمع في مأزقهم التكبير . وكان سلْمان بن ربيعة أوّل من أستقضى بالكوفة أقام أربعين يوماً لا يأتيه خصم وقد رَوَى عن- عمر بن الخطّاب ، وفي سلْمان وقُتَيْبَة بن مُسْلِم ، يقول ابن جمانة الباهلي :

وَإِنَّ لَنَا قَبْرَيْنِ قَبْرٌ بَلَنْجَرٍ

وَقَبْرٌ بِصِيْنِ استَانَ يَا لَكَ مِنْ قَبْرِ

فَذَاكَ الَّذى بِالـــــــصِّينِ عَمَّتْ فُتُوحُهُ

وهـــــذا الَّذى يُسْقَى بِهِ سَبَلُ الـــقَطْرِ

وكان مع سلمـان بِبَلَنْجَر قَرْظَة بن كعب الأنصـارى وهو جاء بنعيه إلى عثمان .

قالوا : ولَمَّا فتح حَبيب ما فتح من أرض أرمينية كتب به إلى عثمان ابن عفَّان ، فوافاه كتابه وقد نعى إليه سَلْمـان فهمَّ أن يولِّيه جميع ارمينية ثمَّ رأى أن يجعله غازياً بثغور الشام والجزيرة لغنائه فيـما كان ينهض له من ذلك ، فولَّى ثغر أرمينية حُذَيفة بـن اليَمان العبسى ، فشخص إلى بَرْذَعَة ووجَّه عمَّاله على ما بينها وبين قاليقَلا ، وإلى خَيْزان فـورد عليه كتـاب عثمان يأمره بالانصـراف وتخليف صلة بن زُفَر العبـسى ، وكان معه فخـلَّفه ، وسـار حبيب راجعاً إلى الشـام ، وكان يـغزو الروم ونزل حِمْص فنقله مـعاوية إلى دِمَشْق فتـوفَّى بها سنة ٤٢ وهو ابن ٣٥ سنة ، وكان مـعاوية وجَّه حبيباً فى جيش لنُصـرة عثمان حين حـوصر ، فلمَّا انتهى إلى وادى القُرَى بلغه مقتل عثمان فرجع .

قالوا : وولَّى عثـمان المغيرة بن شُعْبَة أذَرْبَيْجَان وأرمـينية ، ثمَّ عزله وولَّى القاسم بن ربيـعة بن أميَّة بن أبى الصَّلْت الثَّقَفى أرمينيـة ، ويقال ولاَّها عمرو بن مـعاوية بن المُنْتَفِق العُقَيْلى ، وبعضهم يقـول وليها رجل مـن بنى كـلاب بعـد المُغِيـرة ١٥ سنـة ، ثمَّ وليـهـا العُقَيْلى ، وولـى

الأشْعَث بن قيس لعلى بن أبى طالب (رضه) ارمينية وأذربَيْجَان ، ثمَّ وليها عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلى من قبل معاوية فمات بها ، فوليها عبد العزيز بن حاتم بن النعمان اخوه ، فبنى مدينة دَبِيل وحصَّنها وكبَّر مسجدها ، وبنى مدينة النَّشَوَى ، ورمَّ مدينة بَرْذَعَة ويقال أنَّه جدَّد بناءَها ، واحكم حفر الفارقين حولها ، وجدَّد بناء مدينة البَيْلَقَان وكانت هذه المدن مستشعّثه مستهدمة ، ويقال انَّ الذى جدَّد بناء بَرْذَعَة محمَّد بن مروان فى أيَّام عبد الملك بن مروان . وقاله الوقداى : بنى عبد الملك ، مدينة بَرْذَعَة على يد حاتم بن النعمان الباهلى أوابنه ، وقد كان عبد الملك ولَّى عثمان بن الوليد عُقْبَة بن أبى مُعَيْط ارمينية ، قالوا ولمَّا كانت فتنة ابن الزُّبير انتقضت أرمينية وحالف أحرارها وأتباعهم ، فلمَّا ولي محمَّد بن مروان من قبل أخيه عبد الملك أرمينية حاربهم فظفر بهم ، فقتل وسبى وغلب على البلاد . ثمَّ وعد من بقى منهم ان يعرض لهم فى الشرف ، فاجتمعوا لذلك فى كنائس من عمل خِلاط فاغلقها عليهم ووكَّل بأبوابها ثمَّ خوَّفهم فى تلك الغزاة سُبِيت امُّ يزيد بن أُسَيْد من السِّسَجان ، وكانت بنت بطريقها . قالوا : وولَّى سليمان بن عبد الملك أرمينية عَدِىّ بن عَدِىّ بن عَمِيرة الكِنْدى ، وكان عَدِىٌّ بن عَمِيرة ممن نزل الرَّقَّة مفارقاً لعلى بن أبى طالب ، ثمَّ ولاَّه أيَّاه عمر بن عبد العزيز ، وهو صاحب نهر عدى بالبَيْلَقان ، وروى بعضهم انَّ عامل عمر كان حاتم بن النعمان وليس ذلك بثبت ، ثمَّ ولَّى يزيد بن عبد الملك مِعْلَق بن صَفَّار البَهْرانى ثمَّ عزله وولَّى الحارث بن عمرو

الطائي ، فغزا أهل اللّكز ففتح رستاق حسمدان وولى الجَرَّاح بن عبد الله الحكَمي من مُذْحِج أرمينية ، فنزل بَرْذَعَة ، فرفع إليه اختلاف مكاييلها وموازينها ، فأقامها على العدل والوفاء واتّخذ مكيالاً يدعى الجَرَّاحي ، فأهلها يتعاملون به إلى اليوم ، ثمّ انّه عبر الكُرّ ، وسار حتّى قطع النهر المعروف بالسّمُور وصار إلى الخَزَر فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقاتل أهل بلاد حمزين ثم صالحهم على أن نقلهم إلى رستاق خَيْزان ، وجعل لهم قريتين منه وأوقع بأهل غوميك ، وسبى منهم ثم قفل فنزل شكّى ، وشتّى[1] جندهُ بَبرْذَعَة والبَيْلَقَان ، وجاشت الخَزرَ وعبرت الرَّسّ فحاربهم في صحراء وَرْثَان ثم انحازوا إلي ناحية أَرْدَبِيل فراقبهم على أربعة فراسخ مما يلي أرمينية فاقتتلوا ثلاثة أيام فاستشهد ومن معه فسمّى ذلك النهر نهر الجرَّاح ، ونُسب جسر عليه إلى الجرَّاح ايضاً ، ثم ان هشام بن عبد الملك ولّى مَسْلَمَة بن عبد الملك أرمينية ، ووجه على مقدمته سعيد بن عمرو بن اسود الخَرَشي ، ومعه اسحاق بن مُسْلِم العُقَيْلي واخوته ، وجَعْوَنَة بن الحارث بن خالد أحد بني عامر بن ربيعة بن صَعْصَعَة وذُفافة خالد ابنا عُمَيْر بن الحُباب السُّلَمي والفُرات بن سلمان الباهلي ، والوليد بن القَعْقاع العبسي فواقع الخَزَر وقد حاصروا وَرْثان فكشفهم عنها وهزمهم ، فأتوا مَيْمَذ من عمل أذربيجان فلمّا تهيّأ لقتالهم أتاه كتاب مَسْلَمَة بن عبد الملك يلومه على قتاله الخَزَر قبل

---

(١) شتّى : بالبلد أقام فيه شتاء .

قدومه ، ويعلمه ان قد ولّى امر عسكره عبد الملك بن مُسْلِم العُقَيلى ، فلمّا سلّم العسكر أخذه رسول مَسْلَمَة فقيّده وحمله إلى بَرْذَعَة فحبس فى سجنها وانصرف الخزَر فاتبعهم مَسْلَمَة وكتب بذلك إلى هشام فكتب إليه :

أَتَتْرُكُهُم بِمَيْمَذَ قَدْ تَرَاهُمْ وَتَطْلُبُهُمْ بِمُنْقَطَعِ التُّرَابِ

وأمر باخراج الخَرَشنى من السجن .

قالوا : وصالح مَسْلَمَة أهل خَيْزان وامر بحصنها فهُدِم واتّخذ لنفسه به ضياعاً وهى اليوم تعرف بحَوْز خَيْزَان ، وسأله ملوك الجبال فصار اليه شَرْوَانْشاه ، ولِيرَانْشاه ، وطَبَرْسَرَانْشاه ، وفِيلاَنْشاه ، وجَرْشَانْشاه وصار إليه صاحب مَسْقَط ، وصمد لمدينة الباب ففتحها ، وكان فى قلعتها ألف أهل بيت من الخزَر فحاصرهم ورماهم بالحجارة ، ثمّ تحديد اتّخذه على هيئة الحجارة فلم ينتفع بذلك فعمد إلى العين ، الّتى كان أنُوشِرْوَان اجرى منها الماءَ إلى صهريجهم فذبح البقر والغنم والقى فيه الفرث والحلتيت فلم يمكث ماؤهم الاّ ليلة حتّى دوّد وانتن وفسد فلمّا جنّ عليهم الليل هربوا وأخلوا القلعة ، واسكن مَسْلَمَة بن عبد الملك مدينة الباب والابواب اربعة وعشرين ألفاً من أهل الشام على العطاء ، فاهل الباب اليوم لا يدعون عاملاً يدخل مدينتهم الاّ ومعه مال يفرقه بينهم وبنى هرياً للطعام ، وهرياً للشعير وخزانة للسلاح ، وأمر بكبس الصهريج ورمّ المدينة وشرّفها ، وكان مروان بن محمّد مع مَسْلَمة

وواقع[1] معه الخَزَر فـابلى وقاتل قتالا شـديداً ، ثمَّ ولّى هشام بعد مَسْلَمَة سعيـد الحَرَشى فاقام بالثغـر سنتين ، ثمَّ ولّى الثغر مـروان بن محمّد ، فنزل كِسال وهو بنى مدينتهـا وهى من بَرْذَعَة على اربعين فرسخًا ، ومن تَفْلِيس على عشرين فـرسخاً ، ثم دخل ارض الخَزَر ممّا يلى باب اللاّن ، وادخلهما أسِيـد بن زافر السُّلَمى ابا يزيد ، ومعه ملوك الجبـال من ناحية الباب ، والأبواب فـاغار مروان على صقـالبة كانوا بأرض الخَزَر ، فسـبى منهم عشـرين الف اهل بيت فاسكنهم خَانِيط ، ثمَّ انّهم قتلوا اميرهم وهربوا فلحقهم وقتلهم .

قـالوا : ولمّا بلغ عظيم الخَزَر كـثـرة من وطىءَ به مـروان بلاده من الرجال وما هم عليه فى عدّتهم وقوّتهم نخب ذلك قلبه وملاء رُعباً ، فلمّا دنا منه أرسل إليـه رسولا يدعوه إلى الاسـلام أو الحرب فـقال قـد قبلت الاسلام فارسل إلىّ من يعرِضه علىّ ففعل ، فاظهر الاسلام ووادع مروان على أن اقرّه فى مملكتـه وسار مروان معه بخلق من الخَزَر فـانزلهم ما بين السَّمُور والشّابران فى سهل ارض اللّكز ، ثمَّ انّ مروان دخل أرض السَّرير فاوقع باهلها وفتح قلاعاً فيها ودان له مَلِك السرير ، واطاعه فصالحه على الف رأس ، خمس مائة غـلام وخمسمائة جارية سود الشعور والحواجب فى كل سنة وعلى مـائة الف مـدي تصبُّ فى اهراء البـاب ، وأخـذ منه الرهـن وصـالـح مـروان أهل تُومَان على مـائة رأس خـمسين جـاريـة ،

---

(١) أى نازل .

وخمسين غلاماً خماسيّين سود الشعور والحواجب ، وعشرين ألف مدي للاهراء في كل سنة ثمّ دخل أرض زِريكران فصالحه ملكها على خمسين رأساً وعشرة الف مدي للاهراء في كلّ سنة ، ثمّ أتى أرض حمزين ، فأبى حمزين أن يصالحه فافتتح حصنهم بعد أن حاصرهم فيه شهراً ، فأحرق وأخرب وكان صلحه اياه على خمس مائة رأس يؤدّونها دفعة واحدة ، ثمّ لا يكون عليه سبيل وعلى أن يحمل ثلاثين ألف مدى إلى اهراء الباب في كلّ سنة ثمّ اتى سدان ، فافتتحها صلحاً على مائة رأس يعطيه أيّاها صاحبها دفعة ، ثمّ لا يكون عليه سبيل فيما يستقبل وعلى أن يحمل في كلّ سنة إلى اهراء الباب خمسة الف مدي ووظّف على أهل طَبَرْسَرانْشَاه عشر الف مدي في كلّ سنة تحمل إلى اهراء الباب ولم يوظّف على فِيلاَنْشاه شيئاً ، وذلك لحسن غنائه وجميل بلائه واحماده أمره ، ثم نزل مروان على قلعة اللَّكْز وقد امتنع من اداء شيء من الوظيفة ، وخرج يريد صاحب الخَزَر فقتله راعٍ بسهم رماه به وهو لا يعرفه فصالح أهل اللَّكْز على عشرين الف مدى تحمل إلى الاهراء ، وولّى عليهم خَشْرَماً السُّلَمي ، وسار مروان إلى قلعة صاحب شَرْوان ، وهي تدعى خِرش ، وهي على البحر فأذعن بالطاعة والانحدار إلى السهل ، وألزمهم عشرة آلف مُدي في كلّ سنة ، وجعل على صاحب شَرْوان أن يكون في المقدمة إذا بدا المسلمون بغزو الخزر وفي الساقة اذا رجعوا ، وعلى فِيلاَنْشاه أن يغزو معهم فسقط ، وعلى طَبَرسَرَانْشاه أن يكون في الساقة إذا بدأوا ، وفي المقدمة إذا انصرفوا ، وسار مروان إلى الدُّودَانِيَّة ، فأوقاع بهم ثم

جاءَه قتل الوليد بن يزيد ، وخالف عليه ثابت بن نُعيم الجُذامي ، وأتى مُسافر القصّاب وهو ممّن مكّنه بالباب الضحّاك الخارجي فوافقه على رأيه وولاّه أرمينية وأذَرْبَيْجَان ، وأتى أرْدَبِيل مستخفياً ، فخوج معه قوم من الشراة منها بَاجَرْوانْ فوجدوا بها قوماً يرون رأيهم فانضموا إليهم ، فأتوا وَرْثان فصحبهم أهلها بشر كثير كانوا على مثل رأيهم ، وعبروا إلى البَيْلَقَان فصحبتهم منهم جماعة كثيرة كانوا على مثل رأيهم ، ثم نزل يونان ، وولّى مروان بن محمّد ، اسحاق بن مُسْلِم أرمينية ، فلم يزل يقاتل مُسافِراً وكان في قلعة الكِلاب بالسِّيسَجَان .

ثم لمّا جاءت الدولة المباركة[1] ، وولى أبو جعفر المنصور الجزيرة وأرمينية في خلافة السفّاح ابي العبّاس (رحمه) وجّه إلى مُسَافِر وأصحابه قائداً من أهل خراسان فقاتلهم حتّى ظفر بهم وقتل مُسَافِراً ، وكان أهل البَيْلَقان متحصّنين في قلعة الكِلاب ورئيسهم قدد بن اصفر البَيْلَقاني فاستنزلوا بأمان ، ولمّا استخلف المنصور (رحمه) ولّى يزيد بن أُسَيد السُّلَمي أرمينية ففتح باب اللاّن ورتّب فيه رابطة من أهل الديوان ، ودوّخ الصنّارِيّة حتّى أدّوا الخراج فكتب إليه المنصور يأمره بمصاهرة ملك الخَزَر ففعل وولدت له ابنته منه إبناً فمات وماتت في نفاسها وبعث يزيد إلى نقّاطة أرض شَرْوان ومَلاّحاتها فجباها ، ووكّل به وبنى يزيد مدينة أرْجِيل الصغرى ومدينة أرْجِيل الكبرى ، وأنزلهما أهل فِلَسْطِينَ .

---

(١) يقصد الدولة العباسية .

حدّثنى محمّد بن اسماعيل عن جماعة من مشايخ أهل بَرْذَعَة قالوا الشّمّاخيّة التى فى عمل شَرْوان نسبت إلى الشّمّاخ بن شُجَاع ، فكان ملك شَرْوان فى ولاية سعيد بن سالم الباهلى أرمينية .

وحدّثنى محمّد بن اسماعيل عن المشيخة ، انّ أهل أرمينية ، انتقضوا فى ولاية الحسن بن قَحْطَبَة الطائى بعد عزل ابن أُسَيد وبكّار بن مُسْلم العُقَيلى ، وكان رئيسهم مُوشَائِيل الارمنى ، فبعث إليه المنصور (رحه) الامداد ، وعليهم عامر بن إسماعيل فواقع الحسن موشَائِيل فقُتل وفُضّت جموعه واستقامت له الامور ، وهو الذى نسب إليه نهر الحسن بالبَيْلَقان ، والباغ الذى يعرف بباغ الحسن ببَرْذَعَة والضياع المعروفة بالحَسَنيّة ، وولى بعد الحسن بن قَحْطَبَة عثمان بن عُمَارة بن خُرَيْم ثم رَوْح ابن حاتم المهلّبى ثم خُزَيمة بن خازم ، ثم يزيد بن مَزْيَد الشّيبانى ، ثم عبيد الله بن المهدى ، ثم الفضل بن يحيى ، ثم سعيد بن سالم ، ثم محمّد بن يزيد بن مَزْيَد ، وكان خُزَيمة أشدّهم ولاية ، وهو الذى سنّ المساحة بدَبِيل والنّشَوَى ولم يكن قبل ذلك ، ولم يزل بطارقة أرمينية مقيمين فى بلادهم يحمى كلّ واحد منهم ناحيته ، فإذا قدم الثغر عامل من عُمّاله داروه ، فان رأوا منه عفّة وصرامة ، وكان فى قوّة وعدّة أدّوا إليه الخراج ، واذعنوا له بالطاعة والاّ اغتمزوا فيه واستخفّوا بأمره ، ووليهم خالد بن يزيد بن مَزْيد فى خلافة المأمون فقبل هداياهم ، وخلطهم بنفسه فافسدهم ذلك من فعله ، وجرّأهم على من بعده من عُمّال المأمون .

ثمّ ولّى المعتصم بالله الحسن بن عليّ البابذَغِيسى ، المعروف بالمأمونى ، الثغرَ ، فأهمل بطارقته وأحراره ولان لهم حتى ازدادوا فساداً على السلطان وكَلَباً على من يليهم من الرعية وغلب إسحاق بن إسماعيل بن شُعَيب مولى بنى أميّة على جُرْزان ، ووثب سَهْل بن سِنْباط البطريق على عامل حَيْدَر بن كاوس الأفْشين على أرمينية فقتل كاتبه ، وافلت بحشاشة نفسه ، ثمّ ولى أرمينية عمّال كانوا يقبلون من أهلها العفو ويرضون من خراجها بالميسور ، ثم إنّ أمير المؤمنين المتوكّل على الله ، ولّى يوسف بن محمّد بن يوسف المَرْوَزى أرمينية لسنتين من خلافته ، فلمّا صار بخِلاط أخذ بطريقها بُقْرَاط بن أشُوط فحمله إلى سُرّ مَنْ رأى فأوحش البطارقة والأحرار والمتغلّبة ذلك منه ، ثمّ أنّه عمد عامل له يقال له العَلاَء بن أحمد إلى دير بالسِّيسَجَان يعرف بدير الأقداح ، لم تزل نصارى أرمينية تعظّمه وتهدى اليه ، فأخذ منه جميع ما كان فيه وعسف أهله فأكبرت البطارقة ذلك وأعظمته وتكاتبت فيه وحضّ بعضها على بعض الخلاف والنقض ودسّوا إلى الخويشية ، وهم علوج يعرفون بالأرْطان ، فى الوثوب بيوسف وحرّضوهم عليه لما كان من حمله بُقْراط بطريقهم ، ووجّه كلّ امرىء منهم ومن المتغلّبة خيلاً ، ورجالاً ليؤيّدوهم على ذلك فوثبوا به بطَرُون ، وقد فرق أصحابه فى القرى فقتلوه واحتووا على ما كان فى عسكره ، فولّى أمير المؤمنين المتوكّل على الله ، بُغَا الكبير ارمينية ، فلمّا صار إلى بَدْلِيس أخذ موسى بن زُرَارَة ، وكان ممّن هَوِىَ قتل يوسف وأعان عليه غضباً لبُقْراط ، وحارب الخويشية ، فقتل

منهم مقتلة عظيمة وسبى سبياً كثيراً ، ثم حاصر أشُوط بن حمزة بن جاجق بطريق البُسْفُرْجان وهو بالباق فاستنزله من قلعته وحمله إلى سُرَّ مَن رأى وسار إلي جُرْزان فظفر بإسحاق بن اسماعيل فقتله صبراً ، وفتح جُرْزان وحمل من بأرّان وظاهر آرمينية من بالسِّيسَجَان من أهل الخلاف والمعصية من النصارى وغيرهم حتى صلح ذلك الثغر صلاحاً لم يكن على مثله ثمَّ قدم سُرَّ مَنْ رأى فى سنة ٢٤١ .

فتوح مصر والمغرب

قالوا : وكان عمر بن العاصي حاصر قَيْسارية بعد انصراف الناس من حرب اليَرْمُوك ، ثمَّ استخلف عليها ابنه حين ولى يزيد بن أبى سفيان ومضى إلى مصر من تِلْقَاء نفسه فى ثلثة آلف وخمس مائة ، فغضب عمر لذلك وكتب إليه يوبّخه ويعنّفه على افْتِتانه عليه برأيه وأمره بالرجوع إلى موضعه ان وافاه كتابه دون مصر فورد الكتاب عليه وهو بالعَرِيش . وقيل أيضاً انَّ عمر كتب إلى عمرو بن العاصى يأمره بالشخوص إلى مصر فوافاه كتابه وهو محاصر قَيْسارية ، وكان الَّذى اتاه شَريك بن عَبْدَة فأعطاه الف دينار فأبى شَريك قبولها ، فسأله أن يستر ذلك ولا يُخبر به عمر .

قالوا : وكان مسير عمرو إلى مصر فى سنه ١٩ فنزل العَريش ثمَّ أتى الفَرَمَاءَ ، وبها قوم مستعدُّون للقتال فحاربهم فهزمهم وحوى

عسكرهم ومضى قُدُماً إلى الفُسْطاط فنزل جنان الرَّيْحان وقد خندق اهل الفُسْطاط ، وكان اسم المدينة اليُونة فسمَّاها المسلمون فُسْطاطاً لانهم قالوا هذا فُسْطاط القوم ومجمعهم وقوم يقولون انَّ عمراً ضرب بها فسطاطاً فسمِّيت بذلك .

قالوا : ولم يلبث عمرو بن العاصى وهو محاصر أهل الفُسْطاط أن ورد عليه الزُّبير بن العوَّام بن خُوَيْلِد فى عشرة آلف ، ويقال فى اثنى عشر الفاً ، فيهم خارِجَة بن حُذافة العَدَوىّ ، وعُمَير بن وهب الجُمَحى ، وكان الزبير قد همَّ بالغزو وأراد أتيان أنطاكية فقال له عمر : يا أبا الله هل لك فى ولاية مصر فقال لا حاجة لى فيها ، ولكنّى اخرج مجاهداً وللمسلمين مُعَاوناً ، فان وجدتُ عمراً قد فتحها لم أعرض لعمله وقصدتُ إلى بعض السواحل فرابطتُ به وإن وجدتُه فى جهاد كنتُ معه فسار على ذلك .

قالوا: وكان الزبير يُقَاتِل من وجه ، وعمرو بن العاصى من وجه ، ثمَّ انَّ الزبير اتى بسُلَّم فصعد عليه حتّى أوفى على الحصن ، وهو مجرَّد سيفه فكبَّر وكبَّر المسلمون واتبعوه ، ففتح الحصن عنوة واستباح المسلمون ما فيه وأقرَّ عمرو أهله على أنَّهم أهل ذمَّة ووضع عليهم الجزية فى رقابهم والخراج فى ارضهم، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطَّاب «رضه» فأجازه ، واختطّ الزبير بمصر وابتنى داراً معروفة وأيَّاها نزل عبد الله بن الزبير حين غزا افريقية مع ابن أبى سَرْح وسُلَّم الزبير باق فى مصر .

وحدَّثنا عفَّان بن مُسْلِم قال حدَّثنا حمَّاد بن سَلَمَة ، عن هشام بن عروة انَّ الزبير بن العوَّام بعث إلى مصر فقيل له انَّ بها الطعن والطاعون فقال انَّما جئنا للطعن والطاعون قال فوضعوا السلاليم فصعدوا عليها .

وحدَّثنى عمرو الناقد قال : حدَّثنى عبد الله بن وهب المصرى ، عن ابن لُهَيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، أنَّ عمرو بن العاصى دخل مصر ومعه ثلاثة الف وخمس مائة ، وكان عمر بن الخطَّاب قد أشفق لما أخبر به من أمرها ، فأرسل الزبير بن العوَّام في اثنى عشر ألفاً ، فشهد الزبير فتح مصر واختطَّ بها .

وحدَّثنى عمرو الناقد عن عبد الله بن وهب المصرى عن ابن لُهَيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، عن عبد الله بن المغيرة بن أبى بُرْدَة عن سفيان بن وهب الخَوْلانى ، قال : لمَّا فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير فقال اقسمها يا عمرو فأبى فقال الزبير : والله لتقسمنَّها كما قسم رسول الله ﷺ خَيْبَر ، فكتب عمرو إلى عمر فى ذلك فكتب إليه عمر اقرّها حتَّى يغزو منها حَبَلُ الحَبَلَة[1] . قال وقال عبد الله بن وهب ، وحدَّثنى ابن لُهَيْعة عن خالد بن مَيْمُون ، عن عبد الله بن المُغيرة ، عن سفيان بن وهب بنحوه .

وحدَّثنى القاسم بن سلاَّم قال : حدَّثنا أبو الأسود عن ابن لُهَيْعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، أن عمرو بن العاصى دخل مصر فى ثلاثة

(١) الحبَل : الولد فى بطن امه : الحبَلة : النساء الحابلات .

ألف وخمس مائة ، وكان عمر قد اشفق من ذلك ، فأرسل الزبير بن العوّام فى اثنى عشر الفاً ، فشهد معه فتح مصر ، قال : فاختلطَ الزبير بمصر والاسكندريّة خطّتين .

وحدّثنى ابراهيم بن مُسْلِم الخوارِزمى ، عن عبد الله بن المبارك عن ابن لُهَيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى فِراس ، عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال اشتبه على الناس أمر مصر فقال قوم فُتحت عنوة ، وقال آخرون فتحت صلحاً ، والثَلَجُ فى أمرها أنَّ أبى قدمها فقاتله أهل اليُونة ففتحها قهراً وأدخلها المسلمين وكان الزبير أوّل مَنْ عَلا حصنها فقال صاحبها لأبى أنّه قد بلغنا فعلكم بالشام ، ووضعكم الجزية على النصارى ، واليهود وإقراركم الأرض فى أيدى أهلها ، يعمرونه ويؤدّون خراجها ، فان فعلتم بنا مثل ذلك كان أردّ عليكم من قتلنا وسبينا وإجلائنا ، قال : فاستشار أبى المسلمين فاشاروا عليه بأن يفعل ذلك إلاّ نفر منهم سألوا أن يقسم الارض بينهم ، فوضع على كلّ حالم دينارين جزية ، إلاّ أن يكون فقيراً ، والزم كلّ ذى أرض مع الدينارين ثلاثة أرادب حنطة ، وقسطىّ زيت ، وقسطىّ عسل ، وقسطىّ خلّ رزقاً للمسلمين تجمع فى دار الرزق وتقسم فيهم وأُحْصِى المسلمون فالزم جميع أهل مصر لكلّ رجل منهم جبّة صوف وبرنساً أو عمامة وسراويل وخفّين فى كلّ عام ، أو عدل الجبّة الصوف ثوباً قِبْطِياً ، وكتب عليهم بذلك كتاباً ، وشرط لهم إذا وفوا بذلك أن لا تباع نساؤهم وأبناؤهم ولا يُسبوا

وأن تُقَرَّ اموالهم وكنوزهم فى أيديهم فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر فأجازه ، وصارت الأرض أرض خراج ، إلاّ أنّه لمّا وقع هذا الشرط والكتاب ظنّ بعض الناس أنّها فتحت صلحاً . قال ولمّا فرغ ملك اليُونة من أمر نفسه ومن معه فى مدينته صالح عن جميع أهل مصر على مثل صلح اليُونة ، فرضوا به وقالوا : هؤلاء الممتنعون قد رضوا وقنعوا بهذا فنحن به أقنع لأنّنا فرش لا منعة لنا ، ووضع الخراج على أرض مصر فجعل على كلّ جريب ديناراً وثلاثة أرادب طعاماً ، وعلى رأس كلّ حالم دينارين ، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطّاب « * » .

وحدّثنى عمرو الناقد ، عن عبد الله بن وهب المصرى، عن اللّيث ، عن يزيد بن أبي حبيب انّ المُقَوْقِس صالح عمرو بن العاصى على أن يسير من الروم من أراد ويقرّ من أراد الاقامة من الروم على أمر سمّاه ، وأن يفرض على القِبْط دينارين فبلغ ذلك ملك الروم فتسخطه وبعث الجيوش فأغلقوا باب الاسكندرية وآذنوا عَمْرَ بالحرب ، فخرج إليه المُقَوْقِس فقال: أسألك ثلاثاً أن لا تبذل للروم مثل الّذى بذلت لى ، فانّهم قد استغشّونى ، وان لا تنقض بالقِبْط فانّ النقض لم يأت من قبلهم ، وإن متُّ فمُرْ بدفنى فى كنيسة بالاسكندرية ذكرها ، فقال عمرو هذه اهونهنّ علىّ ، وكانت قرى من مصر قاتلت فسبى منهم ، والقرى بِلْهيت والخَيْس وسُلْطَيْس فوقع سباؤهم بالمدينة ، فردّهم عمر بن الخطّاب وصيّرهم وجماعة القِبْط أهل ذمّة ، وكان لهم عهد لم ينقضوه ، وكتب عمرو بفتح الاسكندرية إلى عمر .

أمَّا بعد فـانَّ الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة قسراً بغير عـهد ولا عقد وهي كلُّها صلح في قول يزيد بن أبي حبيب .

حدَّثني أبو أيُّوب الرَّقّي ، عن عبـد الغفَّار ، عن ابن لُهـيْعة ، عن يزيد بن أبي حـبيب قـال : جبى عـمرو خراج وجـزيتهـا ألفي ألف ، وجباها عـبد الله بن سعد بن أبي سَرْح أربعة ألف ألف ، فقال عـثمان لعمرو أنَّ اللقاح بمصر بعدك قد درَّت ألبانها ، قال : ذاك لانَّكم أعجفتم أولادها . قال : وكـتب عـمـر بن الخطَّاب في سنة ٢١ إلى عـمـرو بن العاصي يعلمه ما فيه أهل المدينة من الجـهد ، ويأمره أن يحمل ما يقبض من الطعام في الخـراج ، إلى المدينة في البحـر فكان ذلك يُحْمَل ويحمَل معـه الزيت ، فإذا ورد الجار تولّى قبـضه سعـد الجار ، ثمَّ جُعل في دار بالمدينة ، وقسم بين الناس بمكيال ، فـانقطع ذلك في الفتنة الأولى ، ثمَّ حُمل في ايَّام معاوية ويزيد ، ثمَّ انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان ثمَّ لم يزل يحمل إلى خلافة أبي جعفر وقُبَيلها .

وحدَّثني بكر بن الهَيْثَم قال حدَّثني أبو صـالح عبد الله بن صالح ، عن اللَّيث بن سـعـد ، عن يزيد بن أبي حـبيب أنَّ أهل الجـزية بمصـر صولحوا في خـلافة عمر بعـد الصلح الأوّل مكان الحنطة والزيت والعسل والخلّ على دينارين دينـاريـن فالزم كلُّ رجل اربعـة دنانيـر فرضـوا بذلك وأحبُّوه .

وحدَّثني أبو أيُّوب الرَّقّي قـال : حدَّثني عبد الغـفَّار الحرَّاني عن ابن

لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب عن الجَيْشاني ، قال سمعتُ جماعة ممّن شهد فتح مصر يخبرون أنّ عمرو بن العاصي لمّا فتح الفُسْطاط ، وجّه عبد الله بن حُذافة السَّهْمي إلى عين شَمْس ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل حكم الفُسْطاط ، ووجّه خَارِجَة بن حُذافة العَدَوِيّ إلى الفَيُّوم والأُشْمُونَيْن وإخْمِيم والبَشْرُودَات وقرى الصعيد ففعل مثل ذلك ، ووجّه عُمَيْر بن وهب الجُمَحي إلى تِنِّيس ودِمْياط وتُونَة ودَمِيرة وشَطَا ودِقَهْلَة وبَنَا وبُوصِير ، ففعل مثل ذلك ووجّه عُقْبَة بن عامر الجُهَنِي ويقال وَرْدان مولاه صاحب سوق وَرْدان بمصر إلى سائر قرى أسفل الأرض ففعل مثل ذلك ، فاستجمع عمرو بن العاصي فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج .

وحدّثنا القاسم بن سلاّم قال حدثنا عبد الغفّار الحرّاني عن ابن لُهَيعة عن إبراهيم بن محمّد ، عن أيّوب بن أبي العالية عن أبيه قال سمعتُ عمرو بن العاصي يقول على المنبر لقد قعدتُ مقعدي هذا وما لأحد من قِبْط مصر عليّ عهد ولاعقد ، ان شئتُ قتلتُ ، وان شئتُ خمستُ ، وان شئتُ بعتُ ، الاّ أهل أنطابُلُس فانّ لهم عهداً يوفى لهم به .

وحدّثني القاسم بن سلاّم قال حدّثني به عبد الله بن صالح ، عن موسى بن علي بن رِباح اللَّخْمي ، عن أبيه قال المغرب كلّه عنوة .

حدّثنا أبو عبيد عن سعيد بن أبي مريم عن ابن لُهَيعة عن الصَّلْت ابن أبي عاصم كاتب حيّان بن شُرَيح أنّه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز

إلى حيّان ، وكان عامله على مصر أنّ مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

وحدّثني أبو عبيدة قال حدّثنا سعيد بن أبي مريم ، عن يحيى بن أيّوب ، عن عبيد الله بن أبي جعفر قال كتب معاوية إلى وَرْدان مولى عمرو أن زد على كلّ امرىءٍ من القِبْط قيراطاً ، فكتب اليه كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم .

وحدّثني محمّد بن سعد ، عن الواقدي ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال : سمعت عروة بن الزبير يقول : أقمت بمصر سبع سنين ، وتزوّجت بها فرأيت أهلها مجاهيد ، قد حمل عليهم فوق طاقتهم ، وإنّما فتحها عمرو بصلح وعهد وشيء مفروض عليهم .

وحدّثني بكر بن الهَيْثَم ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حَبِيبٍ ، عن عُقْبَة بن عامر الجُهَني قال : كان لأهل مصر عهد وعقد كتب لهم عمرو أنّهم آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم ، لا يباع منهم أحد ، وفرض عليهم خراجاً لايزاد عليهم ، وأن يدفع عنهم خوف عدوّهم قال عقبة ، وأنا شاهد على ذلك .

وحدّثني الحسين بن الأسود ، قال حدّثني يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن لَهِيعَة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن من سمع عبد الله بن المُغيرة بن أبي بُرْدَة قال : سمعتُ سفيان بن وهب

الخَوْلانى يقول : لمّا افتتحنا مصر بلا عهد قام الزُّبَير بن العوّام فقال : يا عمرو اقسمها بيننا ، فقال عمرو لا والله لا أقسمها حتّى أكتب إلى عمر ، فكتب إلى عمر ، فكتب اليه فى جواب كتابه أن أقرّها حتّى يغزو منها حَبَلُ الحَبَلَة (أو قال يغدو) .

وحدّثنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى محمّد بن عمر عن أسامة بن زيد بن أسلَم ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : فتح عمرو بن العاصى مصر سنة ٢٠ ومعه الزبير ، فلمّا فتحها صالحه أهل البلد على وظيفة وظّفها عليهم ، وهى ديناران على كلّ رجل ، وأخرج النساء والصبيان من ذلك فبلغ خراج مصر فى ولايته ألفى ألف دينار ، فكان بعد ذلك يبلغ أربعة ألف ألف دينار . وحدثنى أبو عبيد قال : حدّثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب ، أنّ المُقَوْقِس صاحب مصر صالح عمرو ابن العاصي ، على أن فرض على القبط دينارين ، فبلغ ذلك هِرَقْل صاحب الروم ، فسخط أشدّ السخط ، وبعث الجيوش إلى الاسكندرية واغلقها ، ففتحها عمرو بن العاصى عنوة . وحدّثنى ابن القَتّات وهو أبو مسعود ، عن الهَيْثم عن المُجالِد ، عن الشَّعْبى انّ علىّ بن الحسين أو الحسين نفسه كلّم معاوية فى جزية أهل قرية أمّ ابراهيم بن رسول الله ﷺ بمصر فوضعها عنهم ، وكان النبى ﷺ يوصى بالقِبْط خيراً .

وحدّثنى عمرو ، عن عبد الله بن وهب ، عن مالك والليث ، عن الزُّهْرى ، عن ابن لِكَعْب بن مالك انّ النبى ﷺ قال : « اذا افتتحتم

مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فانّ لهم ذمّة ورحماً ، وقال الليث كانت امّ اسماعيل منهم .

حدّثني أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن المبارك قال كان عمرو بن الخطّاب يكتب اموال عمّاله اذا ولاّهم ، ثمّ يقاسمهم ما زاد على ذلك ، وربّما أخذه منهم ، فكتب إلى عمرو بن العاصي انّ قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم يكن حين وليت مصر ، فكتب إليه عمرو انّ ارضنا ارض مزدرع ومتجر فنحن نصيب فضلاً عن ما نحتاج إليه لنفقتنا ، فكتب إليه انّي قد خبرتُ من عمّال السوء ما كفى ، وكتابك إليّ كتاب من قد أقلقه الأخذ بالحقّ ، وقد سؤْتُ بك ظنّا ، وقد وجهتُ إليك محمّد بن مَسْلَمَة ليقاسمك مالك ، فاطلعه طلعة وأخرج اليه ما يطالبك ، وأعْفِهِ من الغلظة عليك ، فانّه برّح الخفاء فقاسَمَ ماله .

حدّثني المدائني ، عن عيسى بن يزيد قال : لمّا قاسم محمّد بن مَسْلَمَة عمرو بن العاصي ، قال عمرو انّ زماناً عاملنا فيه ابن حَنْتَمَة هذه المعاملة لزمان سوء ، لقد كان العاصي يلبس الخزّ بكفاف الديباج ، فقال محمّد مَهْ[1] لولا زمان ابن خَنْتَمَة ، هذا الّذي تكرهه ألْقيت مُعْتَقِلاً عَنْزاً بفناء بيتك يسرّك غزرها ، ويسوءُك بكوءُها ، قال انشدك الله أن لا تخبر

(١) مه : بمعنى اسكت .

عمر بقولي فانّ المجالس بالأمانة ، فقال لا أذكر شيئاً ممّا جرى بيننا وعمر حيّ .

وحدّثني عمرو الناقد ، عن عبد الله بن وهب ، عن ابن لَهيعَة ، عن عبد الله بن هُبَيرة انّ مصر فتحت عنوة . وحدّثني عمرو ، عن ابن وهب ، عن ابن لَهيعَة ، عن ابن أنعَم عن ابيه ، عن جدّه وكان ممّن شهد فتح مصر ، قال فتحت مصر عنوة بغير عهد ولا عقد .

فتح الإسكندرية

قالوا : لمّا افتتح عمرو بن العاصي مصر أقام بها ، ثمّ كتب إلى عمر بن الخطّاب يستأمره في الزحف إلى الإسكندرية ، فكتب إليه يأمره بذلك ، فسار إليها في سنة ٢١ ، واستخلف على مصر خارِجَة بن حُذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عَويج بن عَدِيّ بن كَعب بن لؤيّ بن غالب، وكان مَنْ دون الإسكندرية من الروم والقبط قد تجمعوا له وقالوا نغزوه بالفسطاط قبل ان يبلغنا ، ويروم الاسكندرية ، فلقيهم بالكَريَوْن فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وكان فيهم من أهل سَخَا وبِلَهِيت والقَيْس وسُلْطَيْس وغيرهم قوم رفدوهم وأعانوهم ، ثمّ سار عمرو حتّى انتهى إلى الاسكندرية ، فوجد أهلها معدّين لقتاله ، الاّ انّ القبط في ذلك يحبّون الموادعة فأرسل اليه المُقَوْقِس يسأله الصلح والمهادنة إلى مدّة ، فأبى عمرو ذلك ، فأمر المُقَوْقِس النساء أن يقمن على سور

المدينة مقبلات بوجوههنّ إلى داخله ، وأقام الرجال في السلاح مقبلين بوجوههم إلى المسلمين ليرهبهم بذلك فأرسل إليه عمرو أنّا قد رأينا ما صنعت وما بالكثرة غَلَبْنَا مَنْ غَلَبْنَا ، فقد لقينا هِرَقْل ملككم ، فكان من أمره ما كان . فقال المُقَوْقِس لأصحابه قد صدق هؤلاء القوم ، أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتّى أدخلوه القسطنطينيّة ، فنحن أولى بالاذعان ، فأغلظوا له القول وأبوا إلاّ المحاربة ، فقاتلهم المسلمون قتالا شديداً ، وحصروهم ثلاثة أشهر ، ثمّ إنّ عمراً فتحها بالسيف ، وغنم ما فيها ، واستبقى أهلها ولم يقتل ، ولم يسبِ ، وجعلهم ذمّة كأهل اليُونة ، فكتب إلى عمر بالفتح مع معاوية بن حُدَيج الكِنْدى ، ثمّ السَّكُونى ، وبعث إليه معه بالخمس . ويقال أنّ المُقَوْقِس صالح عمراً على ثلاثة عشر ألف دينار ، على أن يخرج من الإسكندرية من أراد الخروج ، ويقيم بها من أحبّ المقام ، وعلى أن يفرض على كلّ حالم من القبط دينارين ، فكتب لهم بذلك كتابا ، ثمّ أنّ عمرو بن العاصى استخلف على الاسكندرية عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عَدِىّ بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَىّ فى رابطة من المسلمين ، وانصرف إلى الفسطاط وكتب الروم إلى قُسْطَنْطين بن هِرَقْل ، وهو كان الملك يومئذ يخبرونه بقلّة من عندهم من المسلمين وبما هم فيه من الذلّة ، وأداء الجزية ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له مَنُويل فى ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة ، فدخل الاسكندرية وقتل من بها من روابط المسلمين الاّ من لطف للهرب فنجا وذلك فى سنة ٣٥ ، وبلغ عمراً الخبر فسار اليهم

في خمسة عشر ألفاً ، فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيثون فيمايلي الاسكندرية من قرى مصر ، فلقيهم المسلمون فرشقوهم بالنشّاب ساعة ، والمسلمون متترّسون ، ثمّ صدقوهم الحملة فالتحمت بينهم الحرب فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثمّ انّ اولئك الكفرة ولّوا منهزمين ، فلم يكن لهم ناهياً ولا عرجة دون الاسكندرية فتحصّنوا بها ونصبوا العرّادات[1] فقاتلهم عمرو عليها أشدّ قتال ، ونصب المجانيق فأخذت جُدُرُها ، والحّ بالحرب حتّى دخلها بالسيف عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرّيّة وهرب بعض رومها إلى الروم ، وقُتل عدوّ الله مَنُويل ، وهدم عمرو والمسلمون جدار الاسكندرية ، وكان عمرو نذر لئن فتحها ليفعلنّ ذلك . وقال بعض الرواة إنّ هذه الغزاة كانت في سنة ٢٣ ، وروى بعضهم انّهم نقضوا في سنة ٢٣ ، وسنة ٢٥ والله أعلم .

قالوا : ووضع عمرو على أرض الاسكندرية الخراج ، وعلى أهلها الجزية ، وروى أنّ المُقَوْقِس اعتزل أهل الاسكندرية حين نقضوا فأقرّه عمرو ومن معه على أمرهم الأوّل ، وروى ايضاً انّه قد كان مات قبل هذه الغزاة . حدّثني محمّد بن سعد ، عن الواقدي ، عن اسحاق بن عبد الله بن ابي فَرْوَة ، عن حيّان بن شُرَيح ، عن عمر بن عبد العزيز «رضه» أنّه قال لم نفتتح قرية من المغرب على صلح إلاّ ثلاثاً : الاسكندرية ، وكفرطيس ، وسُلْطَيس ، فكان عمر يقول من أسلم من أهل هذه المواضع خلّى سبيله وسبيل ماله .

---

(١) العرّادات: ج عرّادة، وهي آلة حربية لرمي الحجارة.

حدثني عمرو الناقد قال حدثنا ابن وهب المصرى ، عن ابن لَهيعَة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، انه قال افتتح عمرو بن العاصى الاسكندرية فسكنها المسلمون فى رباطهم ، ثم غزوا وابتدروا إلي المنازل ، فكان الرجل يأتى المنزل الّذى كان ينزله فيجد صاحبه قد نزله وبدر إليه ، فقال عمرو : انّى اخاف ان تخرب المنازل اذا كنتم تتعاودونها ، فلمّا غزا فصاروا عند الكريُون ، قال لهم سيروا على بركة الله ، فمن ركز منكم رمحاً فى دار فهى له ولبنى ابيه ، فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى بعض بيوتها ، ويأتى الآخر فيركز رمحه كذلك أيضاً ، فكانت الدار بين النفسين والثلاثة ، فكانوا يسكنونها فاذا قفلوا سكنها الروم ، فكان يزيد بن أبى حبيب يقول لا يحلّ لأحد شيء من كرائها ، ولا تباع ولا تورث انّما كانت لهم سكنى أيّام رباطهم ، فلمّا كان قتالها الآخر وقدمها مَنُويل الرومى الخصىّ ، أغلقها اهلها ففتحها عمرو واخرب سورها . قالوا : ولمّا ولّى عمرو وَرْدان مولاه الاسكندرية ورجع إلى الفسطاط فلم يلبث الاّ قليلاً حتّى اتاه عزله فولّى عثمان بعده ، عبد الله بن لُؤَىّ ، وكان اخا عثمان من الرضاعة ، وكانت ولايته فى سنة ٢٥ . ويقال : إنّ عبد الله بن سعد ، كان على خراج مصر من قبل عثمان ، فجرى بينه وبين عمرو كلام ، فكتب عبد الله يشكو عمْراً فعزله عثمان وجمع العملين لعبد الله بن سعد ، وكتب اليه يعلمه انّ الاسكندرية فتحت مرّة عنوة وانتقضت مرّتين ، ويأمره أن يلزمها رابطة لا تفارقها وان يدرّ عليهم الارزاق ويعقب بينهم فى كلّ ستّة أشهر .

وحدّثنى محمد بن سعد عن الواقدى انّ ابن هُرْمُز الأعرج القارئ كان يقول خير سواحلكم رباطاً الاسكندرية ، فخرج إليها من المدينة مرابطاً فمات بها سنة ١١٧ .

وحدّثنى بكر بن الهَيْثَم ، عن عبد الله بن صالح ، عن موسى بن علىّ ، عن ابيه قال : كانت جزية الاسكندرية ثمانية عشر ألف دينار فلمّا كانت ولاية هشام بن عبد الملك بلغت ستّة وثلاثين ألف دينار .

حدّثنى عمرو ، عن ابن وهب ، عن ابن لَهَيْعَة ، عن يزيد بن أبى حبيب قال : كان عثمان عزل عمرو بن العاصى عن مصر ، وجعل عليها عبد الله بن سعد ، فلمّا نزلت الروم الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان ان يقرّ عمْراً حتّى يفرغ من قتال الروم لأن له معرفة بالحرب وهيبة فى أنفس العدوّ ففعل حتّى هزمهم ، فاراد عثمان أن يجعل عمْراً على الحرب ، وعبد الله على الخراج فأبى ذلك عمرو وقال أنا كماسك قرنى البقرة ، والأمير يحلبها فولّى عثمان بن سعد مصر ، ثمّ اقامت الحبش من البيما بعد فتح مصر يقاتلون سبع سنين ما يقدر عليهم لما يفجرون من المياه فى الغياض . قال عبد الله بن وهب ، وأخبرنى الليث بن سعد ، عن موسى بن على ، عن أبيه أنّ عمْراً فتح الاسكندرية الفتح الآخر عنوة فى خلافة عثمان بعد وفاة عمر « رحمه » .

فتح برقة وزويلة

حدَّثنى محمَّد بن سعد، عن الواقدى ، عن شُرَحْبِيل بن أبى عَوْن ، عن عبد الله بن هُبَيْرَة قال لمَّا فتح عمرو بن العاصى الاسكندرية سار فى جنده يريد المغرب حتَّى قدم بَرْقَة ، وهى مدينة انْطَابُلُس ، فصالح أهلها على الجزية وهى ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبُّوا بيعه . حدَّثنى بكر بن الهَيْثَم ، قال حدثنا عبد الله بن هُبَيْرَة قال : صَالَح عمرو بن العاصى أهل انْطَابُلُس ومدينتها بَرْقَة وهى بين مصر وإفريقية بعد أن حاصرهم وقاتلهم على الجزية ، على أن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا فى جزيتهم ، وكتب لهم بذلك كتاباً .

حدَّثنى محمَّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن مَسْلَمَة بن سعيد عن اسحق بن عبد الله بن أبى فَرْوَة قال : كان أهل برقة يبعثون بخراجهم إلى والى مصر من غير أن يأتيهم حاثّ أو مستحثّ فكانوا اخصب قوم بالمغرب ، ولم يدخلها فتنة . قال الواقدى وكان عبد الله بن عمرو بن العاصي يقول : لولا مالى بالحجاز لنزلت برقة فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها .

وحدَّثنى بكر بن الهَيْثَم ، قال حدَّثنا عبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح قال : كتب عمرو بن العاصى إلى عمرو بن الخطَّاب يعلمه أنَّه قد ولَّى عُقْبَة بن نَافِع الفِهْرى المغرب ، فبلغ زَوِيلَة ، وانَّ مَن بين زَوِيلَة

وبَرْقَة سلم كلّهم حسنة طاعتهم قد ادّى مسلمهم الصدقة واقرّ معاهدهم بالجزية ، وانّه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنّهم يطيقونه ، وامر عمّاله جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردّوها في الفقراء ، ويأخذوا الجزية من الذّمة فتحمل إليه بمصر ، وأن يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ، ومن أهل الصلح صلحهم .

وحدّثني بكر بن الهَيْثَم قال سألت عبد الله بن صالح عن البربر فقال هم يزعمون انّهم ولد برّ بن قيس وما جعل الله لقيس ولداً يقال له برّ ، وانّما هم من الجبّارين الّذين قاتلهم داود «ع» وكان منازلهم على ايادي الدهر فِلَسطِين ، وهم أهل عَمُود ، فأتوا المغرب فتناسلوا به ، حدّثنا أبو عبيد القاسم بن سلاّم قال حدّثنا عبد الله بن صالح عن الليث ابن سعد عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص كتب في شرطه على أهل لَوَاتَة من البربر من أهل برقة ، انّ عليكم ان تبيعوا ابناءكم ونساءكم فيما عليكم من الجزية ، قال الليث فلو كانوا عبيداً ما حلّ ذلك منهم . وحدّثني بكر بن الهَيْثَم ، قال حدثنا عبد الله بن صالح عن ابن لُهَيْعَة ، عن يزيد بن أبي حبيب أنّ عمرو بن عبد العزيز كتب في اللُّوَاتِيّات انّ من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى ابيها أو فليردها إلى أهلها ، قال ولَوَاتَة قرية من البربر كان لهم عهد .

فتح أطرابُلُس

فحدَّثني بكر بن الهَيْثَم عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، قال سار عمرو بن العاصي حتَّى نزل أَطْرَابُلُس في سنة ٢٢ فقوتل ثمَّ افتتحها عنوة ، وأصاب بها أحمال بزيون كثيرة مع تجار من تجارها فباعه وقسم ثمنه بين المسلمين ، وكتب إلى عمر ابن الخطَّاب أنَّا قد بلغنا اطرابلس ، وبينها وبين إفريقية تسعة أيَّام فإن رأى أمير المؤمنين ان يأذن لنا في غزوها فعل ، فكتب إليه ينهاه عنها ويقول ما هي بإفريقية ولكنَّها مفرقة غادرة مغدور بها وذلك أنَّ أهلها كانوا يؤدُّون إلى ملك الروم شيئاً فكانوا يغدرون به كثيراً ، وكان ملك الأندلس صالحهم ، ثمَّ غدر بهم وكان خبرهم قد بلغ عمر .

حدَّثني عمرو والناقد قال حدَّثنا عبد الله بن وهب ، عن الليث ابن سعد قال حدَّثني مشيختنا انَّ اطرابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاصي .

فتح إفريقية

قالوا : لمَّا ولي عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح مصر والمغرب ، بعث المسلمين في جرائد خيل فأصابوا من أطراف افريقية وغنموا وكان عثمان بن عفَّان «رضه» متوقفاً عن غزوها ، ثمَّ أنَّه عزم على ذلك بعد ان استشار فيه ، وكتب إلى عبد الله في سنة ٢٧ ، ويقال في سنة ٢٨ ،

ويقال فى سنة ٢٩ ، يأمره بغزوها واسدّه بجيش عظيم فيه مَعْبَد بن العبّاس بن عبد المطّلب ، ومروان بن الحكَم بن أبى العاصى بن أميّة ، والحارث بن الحكم أخوه ، وعبد الله بن الزبير بن العوّام ، والمِسْوَرْ بن مخرَمَة بن نَوْفَل بن أُهَيْب بن عبد مَناف بن زُهرَة بن كِلاَب ، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب ، وعبد الله بن عمرو بن الخطّاب ، وعاصم بن عمرو وعبيد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وعبد الله ابن عمرو بن العاصى ، وبُسْر بن أبى أَرْطاة بن عُوَيْمِر العامرى وأبو ذُؤَيْب خُوَيْلِد بن خالد الهُذَلى الشاعر وبها توفّى فقام بأمره ابن الزبير حتّى وارءه فى لحده ، وخرج فى هذه الغزاة ممّن حول المدينة من العرب خلق كثير . حدّثنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن أسامة بن زيد بن أسلَم ، عن نافع مولى آل الزبير ، عن عبد الله بن الزبير قال : أغزانا عثمان بن عفّان إفريقية ، وكان بها بطريق سلطانة من أطْرَابُلُس إلى طَنْجَة ، فسار عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح حتّى حلّ بمَقُوبَة فقاتله أيّاماً فقتله الله ، وكنتُ انا الّذى قتلته ، وهرب جيشه فتمزّقوا وبثّ ابن أبى سرح السرايا ففرّقها فى البلاد فأصابوا غنائم كثيرة ؛ واستاقوا من المواشى ما قدروا عليه ؛ فلمّا رأى ذلك عظماء إفريقية اجتمعوا فطلبوا إلى عبد الله بن سعد أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار من ذهب على أن يكفّ عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك . وحدّثني محمّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن أسامة بن زيد اللّيثى ، عن ابن كعب انّ عبد الله بن

سعد بن أبي سرح صالح بطريق افريقية على ألفي دينار وخمسمائة ألف دينار[1] .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن موسى بن ضَمْرَة الماوني ، عن أبيه قال : لمّا صالح عبد الله بن سعد بطريق إفريقية رجع إلى مصر ولم يولّ على إفريقية احداً ، ولم يكن لها يومئذ قَيْرَوَان ولا مصر جامع ، قال : فلمّا قتل عثمان ، وولي أمر مصر محمّد بن أبي حُذَيْفَة بن عُتْبَة بن ربيعة لم يوجّه إليها احداً ، فلمّا ولي معاوية بن أبي سفيان ، ولّى معاوية بن حُدَيْج السَّكُوني مصر فبعث في سنة ٦٩ عُقْبَة ابن نافع بن عبد قيس ابن لَقيط الفهري فغزاها واختطّها ، قالوا : ووجّه عُقْبَة بُسْر بن أبي أرْطاة إلى قلعة من القَيْرَوَان فافتتحها وقتل وسبى ، وهي اليوم تعرف بقلعة بُسْر ، وهي بالقرب من مدينة تدعى مَجّانة عند معدن الفضّة ، وقد سمعتُ من يذكر أنّ مُوسَى بن نُصَيْر وجّه بُسْراً ، وبُسْر ابن ٨٢ سنة إلى هذه القلعة فافتتحها ، وكان مولد بُسْر قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ، وغير الواقدي يزعم أنّه قد روى عن النبي ﷺ والله اعلم .

وقال الواقدي : ولم يزل عبد الله بن سعد والياً حتّى غلب محمّد

---

(١) ويقول قدامة « وقال الواقدي ان هذا الصلح بلغ الفي الف وخمسمائة الف وعشرين الفاً ، فدلّ على أن القنطار ثمانية آلف واربع مائة دنانير » .

بن ابى حُذَيْفَة على مصر ، وهـو كان انغلها[1] على عثمان ، ثمَّ انَّ عليًّا «رضه» ولّى قَيْس بن سعْد بن عُبَادَة الانصارى مصر ثمَّ عزله ، واستعمل عليها محمّد بن أبى بكر الصِّدّيق ، ثمَّ عزله وولّى مالكاً الاشتَر ، فاعتلَّ بالقُلْزُم ، ثمَّ ولّى محمّد بن أبى بكر ثانية وردَّه عليهـا ، فقتله معاوية بن حُدَيْج ، وأحرقه فى جوف حمـار ، ،وكان الوالى عمرو بن العاصى من قبل معاوية بن أبى سفيـان ، فمات عمـرو بمصر يوم الفطر سنة ٤٢ ، ويقـال : سـنة ٤٣ ، وولـى عبـد الله بن عمـرو ابنه بعده ، ثمَّ عزله معاوية ، وولّى معاوية حُدَيْج فأقام بها ٤ سنين ، ثمَّ غزا فغنم ، ثمَّ قدم مصـر فوجَّه عُقْبَة بن نافع بن قيس الفـهرى ، ويقال : بل ولاَّه مـعاوية المغرب فغزا إفـريقية فى عشرة آلف من المسلمين ، فافتتح إفـريقية واختطّ قَيْرَوَانًا وكـان موضع غـيضـة ذات طرفـاء وشجـر ، لا يرام من السـباع والحيَّات والعقارب القتَّالة ، وكان ابن نافع رجلاً صـالحاً مستجاب الدعوة فدعا ربَّه ، فأذهب ذلك كلّه حتّى أن كـانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها .

وقـال الواقـدى قلت لموسى بن علىّ ، رأيت بناء افـريقـيـة المتّصل المجـتـمع الّذى نراه اليـوم مَنْ بناه ؟ فقـال : اوّل من بناها عُقْبَة بن نافع الفهرى اختـطّها ثمَّ بنى وبنى الناس معه الدور والمسـاكن ، وبنى المسجد الجامع بها . قال وبافـريقية استشهـد مَعْبَد بن العبَّاس «رحه» فى غزاة بن

---

(١) انغل : افد .

أبى سرح فى خلافة عثمان ، ويقال بل مات فى أيّام القتال ، واستشهاده اثبت .

وقال الواقدى وغيره ، عزل معاوية بن أبى سفيان معاوية بن حُدَيْج وولّى مصر والمغرب مَسْلَمَة بن مُخَلَّد الأنصارى ، فولّى المغرب ابا المهاجر مولاه ، فلمّا ولى يزيد بن معاوية ردّ عُقْبَة بن نافع على عمله فغزا السُّوس الأدنى ، وهو خلف طَنْجَه ، وجَوَّلَ فيما هناك لا يعرض له أحد ولا يقاتله ، فانصرف ، ومات يزيد بن معاوية ، وبويع لابنه معاوية بن يزيد ، وهو أبو ليلى فنادى الصلاة جامعَة ، ثمّ تبرأ من الخلافة وجلس فى بيته ومات بعد شهرين ، ثمّ[1] كانت ولاية مروان بن الحكم وفتنة ابن الزبير ، ثمّ ولى عبد الملك بن مروان ، فاستقام له الناس فاستعمل أخاه عبد العزيز على مصر ، فولّى إفريقية زُهَيْر بن قيس البَلَوى ، ففتح تونس ثمّ انصرف إلى برقة ، فبلغه أن جماعة من الروم خرجوا من مراكب لهم فعاثوا ، فتوجّه إليهم فى جريدة خيل فلقيهم فاستشهد ومن معه فقبره هناك ، وقبورهم تدعى قبور الشهداء ، ثمّ ولى حَسّان بن النعمان الغَسّانى ، فغزا مِلكَة البربر الكاهنة ، فهزمته فأتى قصوراً فى حيّز برقة فنزلها ، وهى قصور يضمّها قصر سقوفه ازاج فسمّيت قصور حَسّان

---

(١) وأورد قدامة الخبر كمايلي : « فولّى عبد الله بن الزبير مصر ابن جَحْدَم وهو عبد الرحمن بن عقبة الفهرى فاخرج عن مصر ، ويقال قتل بها فولّى مروان عقبة بن نافع » .

ثمّ انّ حسّان غزاها ثانية فقتلها وسبى سبياً من البربر وبعث به إلى عبد العزيز ، فكان أبو محْجَنْ نُصَيْب الشاعر يقول : لقد حضرت عند عبد العزيز سبياً من البربر ، ما رأيت قطّ وجوهاً احسن من وجوههم . قال ابن الكلبى ولّى هشام كُلْثُوم بن عِيَاض بن وَحْوَح القُشَيْرى إفريقية ، فانتقض أهلها عليه فقُتل بها ، وقال ابن الكلبى كان إفْرِيقِيس بن قيس ابن صَيْفى الحِمْيَرى غلب على إفريقية فى الجاهليّة ، فسمّيت به ، وهو قتل جُرْجِير ملكها فقال للبرابرة ، ما أكثر بربرة هؤلاء ، فسمّوا البرابرة . وحدّثنى جماعة من أهل إفريقية عن أشياخهم أنّ عُقْبَة بن نافع الفهرى لمّا أراد تمصير القَيْرَوَان فكر فى موضع المسجد منه فأرى فى منامه كأنّ رجلاً اذّن فى الموضع الّذى جعل فيه مئذنته ، فلمّا اصبح بنى المنابر فى موقف الرجل ثمّ بنى المسجد ، وحدّثنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى قال : ولّى محمّد بن الأشْعَث الخُزاعى افريقية من قبل ابى العبّاس أمير المؤمنين فرمّ مدينة القَيْرَوَان ومسجدها ، ثمّ عزله المنصور وولّى عمر بن حَفْص هِزَارْ مَرْد مكانه .

فتح طنجة

قال الواقدى : وجّه عبد العزيز بن مروان موسى بن نُصَيْر مولى بنى اميّة ، واصله من عين التّمْر ، ويقال بل هو من أرَاشَة من بَلْى ويقال هو من لَخْم ، والياً على افريقية ، ويقال بل وليها فى زمن الوليد بن عبد

الملك سنة ٨٩ فـفتح طنجـة ونزلها ، وهو أوّل من نزلـها واختطّ فيـها للمسلمين ، وانتهت خـيله إلى السُّوس الادنى وبينه وبين السوس الأقصى نيف وعشرون يوماً فوطئهم ، وسبى منهم وأدُّوا إليه الطاعة وقبض عامله منهم الصـدقة ، ثمّ ولاّهـا طارق بن زياد مولاه ، وانصـرف إلى قَيْرَوَان إفريقية .

فتح الاندلس

قال الواقدى : غزا طارق بن زياد عامل موسى بن نُصَيْر الأندلس ، وهو أوّل من غزاها ، وذلك فى سنة ٩٢ ، فلقـيه أُلْيان ، وهو والٍ على مـجاز الأندلس فـأمّنَه طارق على أن حـمله وأصحـابه إلى الأندلس فى الـسفن ، فلمّا صار إليها حاربه اهـلها ففتحها وذلك فى سنة ٩٢ ، وكان ملكها فيما يزعمون من الأشبان وأصلهم من أصبهان ، ثمّ أنّ موسى بن نُصَيْر كتـب إلى طارق كتـاباً غليظاً لتغـريره بالمسلمين ، واقتـتانه علـيه بالرأى فى غزوه ، وأمـر أن لا يجاوز قُرْطُبَه ، وسار موسى إلى قـرطبة من الأندلس فترضّاه طارق فرضى عنه فـافتتح طارق مدينة طُلَيْطُلَة ، وهى مدينة مملكة الأندلس وهى مّمايلى قَرَنْجَة وأصاب بها مائدة عظيـمة أهداها موسى بن نصـير إلى الوليد بن عبـد الملك بدِمَشْق حين قفل سنة ٩٦ ، والوليد مريض ، فلمّا ولى سليمان بن عبد الملك ، أخذ موسى بن نصير بمائة ألف دينار ، فكلّمه فـيه يزيد بن المهلّب فامسـك عنه ، ثمّ لمّا كانت

خلافة عمر بن عبد العزيز «رضه» ولّى المغرب إسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر ، مولى بنى مَخْزُوم ، فسار أحسن سيرة ، ودعى البربر إلى الإسلام ، وكتب إليهم عمر بن عبد العزيز[1] كتباً يدعوهم بعدُ إلى ذلك فقرأها اسماعيل عليهم فى النواحى فغلب الإسلام على المغرب . قالوا : ولمّا ولى يزيد بن عبد الملك ، ولّى يزيد بن أبى مُسْلِم مولى الحجّاج بن يوسف إفريقية والمغرب ، فقدم إفريقية فى سنة ١٠٢ وكان حرسه البربر فوسم كلّ امرىء منهم على يده «حَرَسى[1] » ، فانكروا ذلك وملّوا سيرته فدبّ بعضهم إلى بعض وتضافروا على قتله ، فخرج ذات عشيّة لصلاة المغرب فقتلوه فى مصلاّه ، فولّى يزيد بِشْر بن صَفْوان الكلبى فضرب عنق عبد الله بن موسى بن نصير بيزيد ، وذلك انّه اتُّهم بقتله وتأليب الناس عليه ، ثم ولّى هشام بن عبد الملك ، بشر بن صَفْوان أيضاً فتوفّى بالقَيْرَوَان سنة ١٠٩ ، فولّى مكانه عبيدة بن عبد الرحمن القيسى ثمّ استعمل بعده عبد الله ابن الحَبحاب مولى بنى سَلُول ، فأغزى عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عُقْبَة بن نافع الفهرى السُّوس وارض السُّودان فظفر ظفراً لم ير أحدٌ مثله قطُّ ، واصاب جاريتين من نساء ما هناك ليس للمرأة منهنّ الاّ ثدى واحد وهم يسمُّون تراجان ، ثمّ ولى بعد ابن الحَبْحاب كُلْثُوم بن عِيَاض القُصَيرى ، فقدم إفريقية فى سنة ١٢٣ فقتل ، ثمّ ولّى بعده حَنْظَلَة بن صَفْوان الكلبى اخا بِشْر بن صَفْوان فقاتل

---

(١) حرسى : مفرد حرّاس : أعوان الملك .

الخوارج ، وتوفّى هناك وهو والٍ ، وقام الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فخالف عليه عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ، وكان محبّباً فى ذلك الثغر لما كان من آثار جدّه عُقْبَة بن نافع فيه فغلب عليه ، وانصرف عنه حَنْظَلَة فبقى عبد الرحمن عليه ، وولى يزيد بن الوليد الخلافة ، فلم يبعث إلى المغرب عاملاً ، وقام مروان بن محمّد ، فكاتبه عبد الرحمن بن حبيب وأظهر له الطاعة ، وبعث إليه بالهدايا ، وكان كاتبه خالد بن ربيعة الأفريقى ، وكان بينه وبين عبد الحميد بن يحيى مودّة ومكاتبة فأقرّ مروان عبد الرحمن على الثغر ، ثمّ ولّى بعده الياس بن حبيب ، ثمّ حبيب بن عبد الرحمن ، ثمّ غلب البربر والإباضيّة من الخوارج ، ثمّ دخل محمّد بن الأشْعَث الخُزاعى إفريقية والياً عليها فى آخر خلافة أبى العبّاس ، فى سبعين ألفاً ويقال فى أربعين ألفاً فوليها أربع سنين ، فرمّ مدينة القَيْرَوَان ، ثمّ وثب عليه جند البلد وغيرهم ، وسمعتُ من تحدّث انّ أهل البلد والجند المقيمين فيه وثبوا به فمكث يقاتلهم أربعين يوماً ، وهو فى قصره ، حتّى أجتمع إليه أهل الطاعة ممّن كان شخص معه من أهل خراسان وغيرهم ، وظفر بمن حاربه وعرضهم على الأسماء فمن كان اسمه معاوية أو سفيان أو مروان أو اسماً موافقاً لاسماء بنى أميّة قتله ، ومن كان اسمه خلاف ذلك استبقاه فعزله المنصور ، وولّى عمر بن حفص بن عثمان بن قَبِيصة بن أبى صُفْرَة العَتَكى ، وهو الّذى سمى هِزَارْمَرْد ، وكان المنصور به معجباً ، فدخل إفريقية وغزا منها حتّى بلغ أقصى بلاد البربر وابتنى هناك مدينة سمّاها العبّاسيّة ، ثمّ إنّ ابا حاتم

السَّدْراتى الإباضى من أهل سَدْراته ، وهو مولى لكندة قاتله فاستشهد ، وجماعة من أهل بيته وانتقض الثغر ، وهدمت تلك المدينة التى ابتناها ، وولى بعد هِزَارْمَرْد يزيد بنت حاتم بن قَبِيصة بن المُهَلَّب ، فخرج فى خمسين ألفاً وشيَّعه أبو جعفر المنصور إلى بيت المقدّس ، وانفق عليه مالا عظيماً فسار يزيد حتَّى لقى ابا حاتم باطرابلس ، فقتله ودخل إفريقية فاستقامت له ، ثمَّ ولى بعد يزيد بن حاتم روح بن حاتم ، ثمَّ الفضل بن رَوْح فوثب الجند عليه فذبحوه .

وحدَّثنى أحمد بن ناقد مولى بن الأغْلَب قال : كان الأغْلَب بن سالم التميمى من أهل مَرْو الرُّوذ ، فيمن قدم مع المُسَوِّدَة من خراسان فولاَّه موسى الهادى المغرب فجمعَ له حَرِيش ، وهو رجل كان من جند الثغر من تُونس جمعاً ، وسار إليه وهو بقَيْرَوَان إفريقية فحصره ، ثمَّ أنَّ الأغلب خرج إليه فقاتله ، فأصابه فى المعركة سهم فسقط ميِّتاً ، وأصحابه لا يعلمون بمصابه ولم يعلم به أصحاب حَرِيش ، ثمَّ أنَّ حَرِيشاً انهزم وجيشه فاتبعهم أصحاب الأغلب ثلاثة أيَّام فقتلوهم وقتلوا حريشاً بموضع يعرف بسوق الأحد ، فسمِّى الأغلب الشهيد ، قال : وكان إبراهيم بن الأغلب من وجوه جند مصر ، فوثب واثنا عشر رجلاً معه فأخذوا من بيت المال مقدار ارزاقهم لم يزدادوا على ذلك شيئاً ، وهربوا فلحقوا بموضع يقال له الزاب ، وهو من القَيْرَوَان على مسيرة أكثر من عشرة أيَّام ، وعامل الثغر يومئذ من قبل الرشيد هارون هَرْثَمَة بن

أعيَن واعتقد[1] إبراهيم بن الأغلب على من كان من تلك الناحية من الجند وغيرهم الرياسة ، وأقبل يهدى إلى هَرْثَمَة ويُلاطفه ويكتب اليه يعلمه إنَّه لم يخرج يداً من طاعة ، ولا اشتمل على معصية ، وأنَّه إنَّما دعاه إلى ما كان منه الاحواج والضرورة فولاَّه هَرْثَمَة ناحيته واستكفاه امرها ، فلمَّا صرف هَرْثَمَة من الثغر ، وليه بعده ابن العكّى فساءَ اثره فيه حتَّى انتقض عليه ، فاستشار الرشيد هَرْثَمَة فى رجل يوليه ايّاه ويقلّده امره ، فأشار عليه باستصلاح إبراهيم واصطناعه وتوليته الثغر ، فكتب اليه الرشيد يعلمه أنَّه قد صفح له عن جُرمه وأقاله هفوته ، ورأى توليته بلاد المغرب اصطناعاً له ليستقبل به الإحسان ، ويستقبل به النصيحة ، فولّى إبراهيم ذلك الثغر وقام به وضبطه ، ثمَّ انَّ رجلاً من جند البلد يقال له عِمْران ابن مُجَالِد خالف ونقض ، فانضمَّ اليه جند الثغر ، وطلبوا ارزاقهم وحاصروا إبراهيم بالقَيْرَوَان ، فلم يلبثوا أن اتاهم العُرَاض والمُعْطون ومعهم مال من خراج مصر ، فلمَّا اعطوا تفرَّقوا فابتنى إبراهيم القصر الأبيض ، الَّذى فى قبله القَيْرَوَان على ميلين منها ، وخطّ للناس حوله ، فابتنوا ، ومصَّر ما هناك ، وبنى مسجداً جامعاً بالجص والآجرّ وعمد الرخام ، وسقّفه بالارز وجعله مائتى ذراع فى نحو مائتى ذراع ، وابتاع عبيداً أعتقهم ، فبلغوا خمسة الف واسكنهم حوله وسمَّى تلك المدينة العبَّاسيَّة ، وهى اليوم آهلة عامرة . وكان محمَّد بن الأغلب ابن ابراهيم بن الأغلب أحدث فى سنة ٢٣٩ مدينة بقرب تاهرت ،

(١) يقال : عقد له الرئاسة فى قومه : أى جعلها له .

سمّاها العبّاسيّة ايضاً ، فاخـربها أفلَح بن عبد الوهّاب الإباضي ، وكتب إلى الأُمَويّ صـاحب الأندلس يعلمـه ذلك تقرُّباً إليـه به ، فـبعث إليـه الأموى مائة ألف درهم . وبالمغرب أرض تعرف بالأرض الكبيرة ، وبينها وبين برقة مسـيـرة خمسـة عشرة يومـاً أو أقلّ من ذلك قليلاً ، أو أكـثر قليلاً، وبهـا مدينة على شاطىء البـحر تدعى بارة ، وكان أهلهـا نصارى وليسـوا بروم غزاها جبلة ، مولى الأغلب فلم يقـدر عليهـا ، ثمّ غزاها خَلَفُون البربرى ، ويقال أنّه مولى لربيعة ففـتحها فى أوّل خلافة المتوكّل على الله ، وقام بعده رجل يقال له المفرّج بن سـلاّم ففتح اربعة وعشرين حصناً ، واستولى عـليها وكتب إلى صاحب البريد بمصـر يعلمه خبره ، وانّه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة الاّ بأن يعقد له الإمام على ناحيته ويولّيـه ايّاها ليخرج من حدّ المتغلّبين ، وبنى مسـجـداً جامعاً ، ثمّ انّ اصحابه شغبوا عليه فقتلوه ، وقام بعده سوران[1] فوجّه رسوله إلى أمير المؤمنين المتـوكّل على الله يسـأله عقـداً وكتـاب ولاية ، فـتوفّى قـبل أن ينصرف رسوله اليه ، وتوفّى المنتصر بالله ، وكـانت خلافته ستّة اشهر ، وقام المستـعين بالله أحمد بن محـمّد بن المعتصم بالله ، فأمـر عامله على المغرب ، وهو أوتامش مولى أمـير المؤمنين بان يعقد له على ناحـيته فلم يشخص رسوله من سرّ من رأى حتّى قـتل أوتامش وولى الناحية وصيف مولى أمير المؤمنين فعقد له وأنفذه .

---

(١) وجاءت : سودان .